الصداقة من منظور فلسفى
بين محاورة "ليسيس" لأفلاطون و"الأخلاق" الأرسطية

دكتورة/ أميمة ضياء الدين محمد سوكة

مدرس الفلسفة اليونانية بقسم الفلسفة – كلية الآداب

جامعة الإسكندرية

مقـــــدمـــــة:

يمثل ما قاله كبار المفكرين اليونان الرؤية التى سادت فى العالم القديم حول الصداقة. وربما كان إسهامهم فى هذا الموضوع ليس فقط الأكثر أصالة وإنما أيضا الأفضل ، فلا يكاد يوجد موضوع فى الأخلاق عولج بشكل أفضل وأوسع من الصداقة. وتفسر ظروف المجتمع اليونانى هذه المكانة البارزة التى شغلتها الصداقة: فقد كان وضع المرأة متدنيا[1] ، ولهذا السبب - ورغم وجود الحياة الأسرية والزواج- كانت الأسرة بمثابة "شراكة عمل" أكثر من كونها مركزا للاهتمامات العقلية والروحية. ولنفس السبب غلبت الشهوة على رومانسية العاطفة والحب فى العلاقة بين الجنسين ، فالحب ερός فى الأدب اليونانى إله يُخشى منه لما يلحقه بالحياة الإنسانية من دمار ، وليس إلها يُتودد إليه لما يمنحه من نِعَم.[2] من ناحية أخرى فقد قللت الدولة من شأن الفرد كما فى "جمهورية" أفلاطون ، كما فشل الدين التقليدى فى أن يمد بدوافع مناسبة للسلوك. وهكذا أصبحت الصداقة ميزة اجتماعية ، صمام أمان أخلاقيا ، وأصبحت ممارستها إلهاما عقليا للمفكرين اليونان ، وملاذا للمواطن أو السياسى من صعوبة وفساد المجتمع.[3]

وقد كان لأرسطو النصيب الأكبر مما أسهم به فلاسفة اليونان أو القدماء عموما فى موضوع الصداقة. إذ تشغل فى كتابه "الأخلاق النيقوماخية" مكانا أكبر من أى مكان شغلته مشكلة أخلاقية أخرى ، فهو يخصص لها الكتابين الثامن والتاسع من بين عشر كتب هى كل محتوى "الأخلاق النيقوماخية". بالإضافة إلى أن معالجته لها كانت معالجة شاملة استوعبت

---

[1] **Rankin, W.M., 'Friendship' in Encyclopaedia of Religion and Ethics ed. by James Hastings, vol. VI, T. & T. Clark, Edinburgh, 1912, p. 131.**
[2] **Taylor, A.E., Plato, The Man and His Work, Dover Publications, INC., New York, 2001, p.65.**
[3] **Rankin, W.M., Op. Cit., p. 132.**

العديد من المشكلات التى يمكن أن تثار حولها.[٤] ولذلك لابد أن تعد الصداقة الأرسطية محورا أساسيا لكل بحث فلسفى عن الصداقة لدى اليونان أو القدماء عموما.

أما عن محاورة "ليسيس" فإن هناك من يرى عدم إمكانية تناول الصداقة الأرسطية بدون الرجوع إليها ، ويذهب إلى أن معالجة أرسطو للصداقة إذا قرئت منفصلة عن "ليسيس" فإنها ستكون غير كاملة أو مضللة.[٥]

لقد تناولت محاورة "ليسيس" -كمحاورة سقراطية- الصداقة من خلال إثارة المشكلات وطرح التساؤلات ، واقتراح الحلول المختلفة ، ومناقشة كل منها وتفنيده. والمحصلة العديد من المشكلات الهامة الخاصة بالصداقة أثارتها هذه المحاورة ، وفتحت من خلالها أبعادا واسعة للدراسة الفلسفية للصداقة. لذلك كان من الضرورى محاولة معرفة إلى أى مدى كان "لليسيس" تأثير فى معالجة أرسطو للصداقة؟ وإلى أى مدى اهتم أرسطو بالمشكلات التى أثارتها؟ وكيف عالج هذه المشكلات؟

ومن هنا يستهدف هذا البحث إبراز مكانة الصداقة فى الفلسفة اليونانية من خلال أكبر ممثليها: أفلاطون وأرسطو. كما يستهدف محاولة الإجابة عن التساؤلات السابقة من خلال الدراسة التاريخية التحليلية المقارنة ، بين الصداقة فى محاورة "ليسيس" و "الأخلاق النيقوماخية".

الصداقة فى محاورة "ليسيس" لأفلاطون:

تعد محاورة "ليسيس" إحدى محاورات الشباب الأفلاطونية أو ما تسمى "بالسقراطية". وهى المحاورات التى كتبها أفلاطون فى مرحلة الشباب مرحلة التأثر بسقراط. وقد ظهر هذا

---

4 أولف جيجن: المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية ، ترجمة عزت قرنى ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٤٤٨-٤٤٩.

5 **Pangle, L.S., Aristotle and the philosophy of friendship, Cambridge University Press, 2002, reviewed by Clifford Angell Bates, Bryn Mawr Classical Review, http://bmcr.brynmawr.edu/2003/2003-08-11.html.**

التأثر فى موضوعات المحاورات والتى دارت حول المفاهيم الأخلاقية ، وفى اتباع المنهج السقراطى للوصول إلى تعريف هذه المفاهيم.

إن موضوع المحاورة هو الصداقة أو jiÍlía . يمكن أن تترجم هذه الكلمة اليونانية "الصداقة" أو "الحب". ويمكن أن تختلط بكلمة يونانية أخرى هى erόV التى تعنى أيضا "الحب" لكن بمضمون شهوانى. يمكن أن تؤخذ كلمة jiÍlía بالمعنى الإيجابى (أن تحِب شخصا أو شيئا) ، أو بالمعنى السلبى (أن تُحَب) ، ويمكن أن يكون موضوعها شخصا أو حيوانا أو شيئا؛ ومن ثم قد تكون jiÍlía علاقة من جانب واحد بين شخص وشئ (كأن تحب حصانا)، أو علاقة متبادلة من جانبين بين شخصين. وإلى غموض وتعقيد المعانى اللغوية* لهذا المصطلح يعود غموض وتعقيد حجج سقراط فى "ليسيس".[٦]

شخصيات المحاورة: سقراط وهو الراوى ، منكسينوس **Menexinus** ، هيبوطاليس **Hippothales** ، ليسيس **Lysis** ، وكتسيبوس **Ctesippus** .

الصداقة والمنفعة:

تتكون المحاورة من مشهدين أو محادثتين: الأولى محادثة بين سقراط وليسيس وهو شاب أثينى نبيل الأصل يتسم بقدر كبير من الجمال والطيبة والذكاء. تجرى هذه المناقشة فى غياب منكسينوس- الذى استدعى بعيدا ليشارك فى تقديم قربان.[٧] يسأل سقراط ليسيس بعض الأسئلة :

س: لعلّ والدك ووالدتك يحبانك كثيرا.

---

* انظر jiÍlía & jiÍlέω فى:

Liddell and Scott, An intermediate Greek-English Lexicon, founded upon the 7th edition, The Clarendon Press, Oxford, 1996.

6 Seung, T.K., Plato Rediscovered, Human value and social order, Rowman & Littlefield Publishers, INC., 1996, pp. 35-36.

7 Jowett, B., introduction to "Lysis", in "The Dialogues of Plato", vol. I, 3rd ed., Oxford University Press, London,1931, p. 41

ل: بالتأكيد.

س: ويتمنيان لك أن تكون سعيدا تماما.

ل: نعم. .....

س: وهل يسمحان لك إذن بأن تفعل ماتريد ، ولايزجرانك أبدا أو يمنعانك من فعل ما ترغب؟

ل: نعم حقا يا سقراط هناك العديد من الأشياء التى يمنعانى من فعلها. .....

س: لكن لماذا إذن هما قلقان بشكل هائل لمنعك من أن تكون سعيدا ،وأن تفعل كما تريد؟ .....

ل: السبب يا سقراط أننى لم أبلغ سن الرشد.

س: أشك أن ذلك هو السبب الحقيقى ؛ لأننى أتخيل أن والدك ووالدتك يسمحان لك بالفعل بالقيام بالعديد من الأشياء ، ولاينتظران حتى تبلغ سن الرشد.....

ل: صحيح جدا. .....

س: إذن ليسيس ماذا يمكن أن يكون السبب ؛ لماذا يسمحان لك بفعل شئ دون الآخر؟

ل: أفترض أنه لأننى أفهم أحدهما دون الآخر.

س: نعم عزيزى الشاب ليس السبب أى نقص فى السنوات ، لكنه نقص فى المعرفة، ومتى يعتقد والدك أنك أكثر حكمة منه فسوف يعهد إليك فى الحال بنفسه وممتلكاته.

ل: أعتقد ذلك. .....

س: إذن عزيزى ليسيس تدرك الآن أنه فى الأشياء التى نعرفها فإن كل شخص سيثق فينا .... ، ويمكننا أن نفعل ما يروق لنا بصددها ، .... وستكون هذه الأشياء بالفعل لنا ؛ لأننا سنكون ذوى نفع بواسطتها. لكن فى الأشياء التى ليس لنا أى فهم بها ، لن يثق بنا أحد أن

نفعل ما يبدو خيرا لنا ، سوف يمنعوننا بقدر ما يمكنهم ، وليس فقط الغرباء لكن الأب والأم ، والصديق ..... لأننا لن نكون ذوى نفع بواسطتها....

س: وهل سنكون أصدقاء للآخرين ، وهل سيحبنا الآخرون طالما كنا بلا نفع لهم؟

ل: بالتأكيد لا.

س: ولن يمكن لوالدك أو والدتك أن يحبانك ، ولا يمكن لأى شخص أن يحب أى شخص آخر طالما أنه بلا نفع له؟

ل: لا.

س: ولذلك يا بني إذا كنت حكيما ؛ فإن كل الناس سيكونون أصدقاءك وأقرباء ؛ لأنك ستكون نافعا وخيرا. لكن إذا لم تكن حكيما فلن يكون والدك ولا والدتك ولا قريبك ولا أى شخص آخر أصدقاءك. وفى الأشياء التى ليس لديك معرفة بها بعد ، هل يمكن أن يكون لديك أى زهو بالمعرفة؟

ل:هذا مستحيل.[٨]

يتضح من هذه المناقشة أن سقراط يحاول أن يبين لليسيس أن الإنسان لن يحب أى شخص آخر ويعتبره صديقه إذا لم يكن هذا الشخص نافعا له. وأن الإنسان لا يكون نافعا إذا لم يكن حكيما أى إذا لم يكن ذا معرفة. فالناس مثلا لا يقبلون أن يعالجوا من مرض ما إلا على يد شخص ذى معرفة بالطب أى طبيب.

ويوضح "فلاستوس" **Vlastos** أن "نافع" أو "مفيد" عند أفلاطون -كما فى العرف اليونانى بصفة عامة- يجب ألا تعطى المعنى الضيق الذى لهذه الصفات عادة فى الإنجليزية. ويعتقد أن أفلاطون يستخدم هذه الصفات لتشمل أى صفة –جسمية ، اقتصادية ، جمالية ،

---

8 **Plato, "Lysis", in The Dialogues of Plato, trans. by B. Jowett, vol. I, 3rd ed., Oxford University Press, London, 1931, 207-210 E2.**

عقلية ، أو أخلاقية- تجعل من يمتلكها موجودا ذا قيمة. إنها متسعة بمثل اتساع أن يكون الشخص "منتجا للخير" بدون قيود على نوع الخير المنتج، وباعتبار المتحدث سقراط يمكن التحيز للخير الأخلاقى والروحى. وبذلك يحَب الشخص فقط إذا كان منتجا للخير.[٩]

ويرفض "فلاستوس" أن تكون هذه النظرة النفعية متمركزة حول الذات. حيث يعترض على ترجمة "جويت" **Jowett** للنص التى تجعل المحِب السقراطى ينظر لمن يحبهم كمصادر للنفع له. فهو يبين أن "جويت" يترجم النص كما لو أن سقراط يقول إن **A** سيحب **B** فقط إذا أنتج **B** الخير لـ **A**. ويرى أن النص لا يقول هذا ، وإنما على النقيض يعتبر أن **A** يمكن أن يحب **B** لأن **B** ينتج منافع لشخص ثالث أو مجموعة من الأشخاص أو لـ **B** نفسه.[١٠]

وأعتقد أن وجهة نظر "فلاستوس" التى تعتبر "النافع" "منتجا للخير" لها وجاهتها. إذ أن سقراط فى حواره السابق مع "ليسيس" ربط بين أن يكون الشخص ذا معرفة ، وثقة الآخرين به واكتساب صداقتهم ، بينما إذا انتفت هذه المعرفة ، فقد الشخص ثقة الآخرين به وبحكمه على ما هو "خير". كما ربط سقراط فى موضع آخر من نفس الحوار بين أن يكون الشخص حكيما ، وأن يكتسب صداقة كل الناس لأنه "نافع وخير".

المعنى المتبادل للصداقة:

تبدأ مناقشة جديدة بين سقراط ومنكسينوس –بعد عودته. وفى مستهل هذه المناقشة يخبره سقراط بأنه (أى سقراط) شخص لم يشغل قلبه منذ طفولته فصاعدا سوى الولع بالأصدقاء ، وأنه يفضل الصديق الخير على أى شئ آخر. وأنه يذهل ويبتهج عندما يراه هو وليسيس فى سنهما المبكرة هذه وقد امتلكا بسهولة هذه الثروة. بينما هو (أى سقراط) برغم تقدمه فى السن لم يحصل على صديق ولا يعرف حتى كيف يكتسب الصديق*. لذلك فهو يريد

---

9 **Vlastos, G. , Platonic Studies, Princeton University Press, 1993, p. 7.**
10 **Vlastos, G., Op. Cit., pp. 7-8.**

* يظهر هنا بداية استخدام سقراط لأسلوبه بادعاء الجهل.

أن يسأله سؤالا حول هذا لخبرته ؛ فيسأله: عندما يحب شخص آخر مَن يكون الصديق، المحِب، أو المحبوب ، أو كلاهما يكون الصديق؟[١١]

يرفض سقراط اقتراح منكسينوس أن كليهما صديقان بالتبادل إذا كان أحدهما فقط يحب الآخر؛ لأنه قد يكون المحبوب لا يبادل الطرف الآخر الحب. ويتساءل سقراط: إذن هل لا توجد صداقة على الإطلاق ما لم يكن هناك حب متبادل؟ يرفض سقراط هذا المعنى أيضا فهناك من يحبون طيور السمان أو الكلاب أو النبيذ أو الألعاب الرياضية رغم أن هذه الأشياء لا تبادلهم الحب. ثم يرفض أيضا أن يكون المحبوب عزيزا على المحِب سواء أحبه فى المقابل أو لا. لأنه فى هذه الحالة يمكن أن يكون الإنسان صديقا لمن يكرهه أى صديقا لعدوه وهذه سخيف. ولا يتبقى إلا أن يكون المحِب هو صديق المحبوب ويرفض سقراط هذا الاحتمال أيضا ؛ لأنه كما فى الحالة السابقة يمكن أن يكون الإنسان صديقا لمن يكرهه أى لعدوه ، أو عدوا لصديقه.[١٢]

يقود سقراط منكسينوس إلى هذه السلسلة من المفارقات أو الصعوبات التى تنشأ من تصرف الكلمة اليونانية jílοV التى تترجم عادة "صديق" أو "عزيز". للكلمة -كما تقدم- معنيان أحدهما إيجابى والآخر سلبى: فيكون **A** صديقا لـــ **B** ليس فقط عندما يحب كل منهما الآخر ويكونان أصدقاء بالمعنى الكامل "للصديق" ، لكن فى حالتين أخريين أيضا: حيث **A** يحِب **B** أيا كان رأى **B** عنه ، وحيث **A** يحَب بواسطة **B** أيا كان رأى **A** عنه. يسهل على سقراط أن يوقع منكسينوس فى صعوبات بإبراز أحد هذه المعانى عندما يفكر فى معنى آخر.[١٣]

واضح أن هذه المفارقات ذات طبيعة لفظية خالصة يكشف عنها الانتباه إلى الاستخدامات المتنوعة لكلمة jílοV فى اليونانية. كما أن أفلاطون يستغل هذه

---

11 Plato, Lysis, 211-212 E2
12 Plato, Lysis, 212-213 E2
13 Annas, J.," Plato and Aristotle on Friendship and Altruism", Mind 86, 1977, pp. 532-533.

وأيضا:

Seung, T.K., Op. Cit., pp. 35-36.

الاستخدامات على الطريقة السوفسطائية ، والنتيجة عدم التوصل إلى ما تعنيه الصداقة. لكنه فيما بعد فى المحاورة يفترض أن jílo‹ تتضمن أن يحَب (215a) وأن يحِب (215b). لذلك واضح أنه لم يعتبر أن المفارقات تمنعنا من فهم أن للكلمة هذه الاستخدامات المختلفة ، وأن معنى الحب المتبادل هو الأكثر وضوحا. ترى **Annas** أن أفلاطون يرفض هذا المعنى على أسس ضعيفة وليس لأنه يؤدى إلى مفارقة. وأنه من المؤكد أن الصداقة لا تعتمد كلية على الفاعل (المحِب) ؛ إذ بالإمكان القيام بفعل كريم حتى لو لم يشعر أحد بالامتنان. لكن ليس بالإمكان أن تكون صديقا لشخص غير قادر على احتمالك.[١٤]

وربما يؤيد هذا الرأى تراجع سقراط عما انتهى إليه مع منكسينوس فى هذا الجزء من النقاش ؛ وتساؤله مَن يكونون أصدقاء بعد رفض الصيغ السابقة؟ أليس من المحتمل أنهما مخطئان فى استنتاجهما؟ ولذلك يتوقف سقراط عن الاستمرار فى هذا الاتجاه ويأخذ اتجاها آخر للنقاش.

الصداقة بين المتشابهين أو غير المتشابهين:

يتجه سقراط إلى الشعراء والفلاسفة: الشعراء الذين يعتبرهم آباءنا فى الحكمة وأصل لها ، والذين يرون أن الإله نفسه هو الذى يجذب الصديق للصديق ، وأنه يجذب الشبيه للشبيه (هوميروس). والفلاسفة الباحثون فى الطبيعة والكون (أنباذوقليس) ، والذين يقولون إن الشبيه لابد أن يحب الشبيه. ويتساءل هل هم مصيبون فى أقوالهم؟[١٥]

يميز سقراط فى مناقشته لهذه الصيغة بين أن يكون الشرير صديقا للشرير ، وأن يكون الخيّر صديقا للخيّر. فيرى أنه كلما اقترب الإنسان السئ أو الشرير من الإنسان السئ أو الشرير ، كلما زاد احتمال أن يكرهه لأنه يؤذيه ، ومن يسبّب الضرر ومن يتلقى الضرر لايمكن أن يكونا أصدقاء. إن الأشرار ليسوا فى وحدة أحدهم مع الآخر أو مع أنفسهم ؛ لأنهم انفعاليون وقلقون ، وأى شئ يتسم بالتعارض والشحناء مع ذاته ، ليس من المحتمل أن يتحد أو ينسجم مع أى شئ آخر. لذلك يرفض سقراط أن يحصل الشرير على أى صداقة حقيقية

---

14 Annas, J. Op. Cit., pp. 533-534.
15 Plato, Lysis, 214 E2.

سواء مع الخيّر أو الشرير ، ويكون قصد القائلين بأن الشبيه صديق الشبيه أن الصداقة لا تقوم إلا بين الأخيار.[١٦]

يبدأ سقراط فى مناقشة الصداقة بين الأخيار بالشك وعدم الرضا. يفترض أن الشبيه من حيث هو شبيه يكون صديقا للشبيه ونافعا له. ويتساءل هل يمكن للشبيه أن يفعل خيرا أو يسبب ضررا للشبيه لايمكنه أن يحصل عليه بنفسه ، أو يعانى شيئا من شبيهه لا يعانيه من نفسه؟ وإذا كان أى منهما لا يمكن أن يكون نافعا للآخر ، فكيف يمكن أن يحب أحدهما الآخر؟ لكن إذا كان الشبيه ليس صديقا للشبيه من حيث هو شبيه ، فهل يمكن للخيّر أن يكون صديقا للخيّر من حيث هو خيّر؟ لكن الخير لديه اكتفاء ذاتى ، ومن لديه اكتفاء ذاتى لا يحتاج شيئا ، ومن ليس فى حاجة لشئ لن يرغب شيئا ، ولا يمكن أن يحب ما لا يرغبه ، ومن لا يحب ليس محِبا أو صديقا. أى مكان إذن للصداقة بين الأخيار إذا كان الخيّر مكتفيا بذاته ، ولا يحتاج الخير فى حالة غيابه. ولن يكون نافعا للخير فى حالة حضوره. ومن ثم فالأخيار لا يقدّرون الأخيار وبالتالى لا مكان للصداقة بينهم.[١٧]

لا يدعى أفلاطون أن الرجل الخير مكتف بذاته بمعنى أنه لا يحتاج شيئا على الإطلاق من أى شخص. بالطبع سيحتاج على الأقل بضائع وخدمات وصحبة سارة. لكن ما يدعيه أفلاطون هو أن الرجل الخير مكتف بذاته فيما يخص الفضيلة. لن يوجد بالنسبة له أى خير أو فضيلة يمكن الحصول عليها من صديق ، وبالتالى لن يكون للصديق فائدة من هذه الجهة. إذا كان الإنسان فاضلا ، فإن خيره يأتى من حالة لنفسه ، فكيف يمكن لأى شخص أن يساهم فيه.[١٨]

تثير ليسيس هنا مشكلة رئيسية هى أن الصداقة تقوم فقط بين الأخيار، ومن ناحية أخرى فالأخيار لديهم اكتفاء ذاتى ولا يبدو أنهم بحاجة للأصدقاء. تأتى فكرة أن الصداقة تقوم

---

16 Ibid., 214 E2.
17 Plato, Lysis, 214-215 E2.
18 Annas, J., Op. Cit., pp. 545-546.

فقط بين الأخيار من مناقشة تفسير الصداقة بتجاذب الشبيه للشبيه. وتثبت على أساس أن أصحاب الإرادة الشريرة مشوشون داخليا ويتصارعون مع بعضهم البعض أيضا. يرفض أفلاطون أن تكون الصداقة انجذاب الشبيه للشبيه ، على أساس أنه ليكون المرء صديقا لشخص ما لابد أن يكون مفيدا له ، الشبيه لا يمكن أن يكون مفيدا لشبيهه. أما فكرة أن يكون الخير صديقا للخير كخير وليس كشبيه فتُفنَد بإظهار تعارضها مع الاكتفاء الذاتى للخير. وتستنتج Annas أن أفلاطون وجد فكرة أن يكون الأخيار فقط أصدقاء مقبولة بصورة مستقلة عن مسألة التشابه التى تعتمد عليها شكليا.[١٩]

يتناول سقراط بعد ذلك رأيا آخر يذهب إلى أن الشبيه أكبر عدو للشبيه. فالشبيه يمتلئ بالحقد والنزاع والبغض نحو شبيهه ، وغير الشبيه يمتلئ بالصداقة. فالفقير يضطر أن يكون صديقا للغنى ، والضعيف يحتاج مساعدة القوى ، والمريض مساعدة الطبيب ، وكل جاهل لابد أن يحب ويتودد إلى ذى المعرفة. (ويستند هذا الرأى أيضا إلى سلطة شاعر هو هزيود الذى يقول إن صانع الفخار يتشاجر مع صانع الفخار ، والمنشد مع المنشد ، والمتسول مع المتسول). إن الصداقة وفقا لهذا الرأى لا توجد بين المتشابهين ، وإنما على العكس فالأكثر تعارضا هم الأكثر صداقة. لذلك فكل شئ يرغب ليس فى شبيهه وإنما فى أبعد الأشياء شبها. على سبيل المثال يرغب الجاف فى الرطب ، والبارد فى الحار ، والمر فى الحلو ، وهكذا. لكن سقراط يعترض على هذا الرأى أيضا لأنه لو كانت الصداقة تقوم بين الأضداد لكان الصديق صديقا لعدوه، والعادل صديقا لغير العادل ، والعفيف للماجن ، والخير للشرير ، وهذا غير ممكن.[٢٠]

إن النتيجة التى ينتهى إليها النقاش فى هذه المرحلة هى أن الصداقة لا تقوم بين المتشابهين ، ولا بين غير المتشابهين. فلا توجد صداقة بين الأشرار ، ولا بين الأخيار والأشرار ، ولا بين الأخيار (مع وضع التحفظ فى هذه الحالة فى الاعتبار).

---

19 Ibid., pp. 544-545.
20 Plato, Lysis, 215 E2-216 F.

الصداقة بين المحايد والخيّر أو الجميل (الخيّر أو الجميل موضوع الصداقة):

يفترض سقراط وجود ثلاثة مبادئ: الخيّر ، والشرير ، وما ليس خيرا ولا شرا (المحايد). وليس الخير صديقا للخير ، ولا الشرير للشرير ، ولا الخير للشرير ، فقد استبعدت هذه البدائل فيما سبق. يتبقى أن المحايد لابد أن يكون صديقا إما للخير ، أو للمحايد ، لأنه لايمكن لشئ أن يكون صديقا للشرير. ولكن حيث قد تبين أن الشبيه لا يمكن أن يكون صديقا للشبيه ؛ فإن المحايد لا يمكن أن يكون صديقا للمحايد. إذن يكون المحايد صديقا فقط للخيّر أو الجميل[٢١]*.

ولكى يوضح سقراط هذه العلاقة بين المحايد والخير يضرب مثالا بالجسم البشرى. فالجسم الصحيح لا يحتاج مساعدة طبية ، والإنسان سليم الصحة ليس لديه حب للطبيب. لكن المريض يحب الطبيب لأنه مريض ، والمرض شر ، وفن الطب شئ خيّر ونافع ، لكن الجسم البشرى كجسم ليس خيرا ولا شرا (محايد). ويضطر الجسم بسبب المرض أن يقيم صداقات ويتودد إلى فن الطب. إذن يصبح المحايد صديقا للخير بسبب حضور (وجود) الشر.[٢٢] أى تفسر الصداقة بالرغبة فى امتلاك أو اكتساب صفة خيرة تنقص الفاعل عندما يكون هذا "النقص" شيئا سيئا. ولا يميز أفلاطون –على الأرجح- بين أن يكون النقص شيئا سيئا ، وأن يدركه الفاعل كشئ سئ؛ إنه يفكر فى أشياء مثل الصحة السيئة التى تكون شيئا سيئا وتدرك كذلك. ولا يتضح كيف سيتعامل مع الشرور التى لا تدرك على أنها كذلك ، ولا مع الاعتقادات الخاطئة عن أوجه النقص غير الموجودة.[٢٣]

---

21 Ibid., 216 F.

يقول سقراط فى نفس الموضع إنه يعتمد حدسا على القول المأثور إن "الجميل هو الصديق". والجمال بالتأكيد بطبيعته الناعمة المترلقة يتسلل بسهولة وينفذ إلى نفوسنا. لذلك يؤكد أن الخيّر هو الجميل.

22 Plato, Lysis, 217 F2.

23 Annas, J., Op. Cit., p. 536.

ويبين سقراط أن هذا لابد أن يحدث قبل أن يصير ما ليس خيرا ولا شريرا فاسدا تماما بعنصر الشر ؛ لأنه إذا صار شريرا لن يظل يرغب ويحب الخير ؛ لأن الشرير لا يمكن أن يكون صديقا للخير كما تبين. معنى ذلك أن ما ليس خيرا ولا شريرا يمكن أن يكون الشر حاضرا فيه لكنه مع ذلك لا يكون شريرا. فى هذه الحالة فإن وجود الخير فيه يثير لديه الرغبة فى الخير. لكن حضور الشر الذى يجعل الشئ شريرا يقضى على الرغبة فى الخير والصداقة.[٢٤]

بناء على ذلك يقال إن الحكماء بالفعل ليسوا محبين للحكمة ، ولا يمكن لمن هم جهلاء إلى حد أن يكونوا أشرارا أن يكونوا محبين للحكمة ؛ حيث ليس الشرير أو الجاهل محبا للحكمة. يتبقى من يكون لسوء الحظ جاهلا دون أن يتشدّد فى جهله أو يخلو من الفهم ، ولا يتوهم فضلا عن ذلك أنه يعرف ما لا يعرفه. هذا هو محب الحكمة وهو ليس خيرا ولا شريرا بعد.[٢٥]

تذهب Annas إلى أن سقراط يقدم نظريا رؤية عامة جدا للدوافع البشرية. وفقا لهذه الرؤية فأن ترغب أو تحب أو تشعر بعاطفة نحو شخص ما ، هو أن يكون لديك فى الواقع سبب متصل بخيرك أنت ؛ أن ترى فى هذا الشخص مصدرا لشئ تريده وتعتبره جديرا بامتلاكه. وهذا مستحيل إلا طالما يعتبر المرء نفسه يفتقر إلى شئ أو يحتاج شيئا ، ومن ثم فهو فى حالة غير مرغوبة. تتضمن رؤية أفلاطون هنا افتراض أن الرغبة فى خير شخص آخر تقوم دائما على ، ولن توجد بدون رغبة فى خير المرء ذاته. حيث لا يوجد شعور بالنقص ، ومن ثم لا توجد رغبة تتصل بذات الفاعل ، لا يمكن أن تكون هناك صداقة. ليس معنى ذلك عدم وجود أى رغبات غير ذاتية ، بل إنها فقط لا يمكن أن تكون الدافع الرئيسى للفعل أو الصداقة، وإن المشاعر والأفعال التى تكون فى ظاهرها غيرية تستند إلى أساس ذاتى. إذا كان من الصواب فهم أفلاطون بهذه الطريقة فلا يمكن وصف تحليله للصداقة بالأنانية.[٢٦]

---

24 Plato, Lysis, 217-218 F2.
25 Ibid., 218 F2.
26 Annas, J., Op. Cit., pp. 536-537

المبدأ الأول والنهائى للصداقة:

توصل سقراط إذن إلى هذه الصيغة لتفسير الصداقة: الصداقة هى الحب الذى لدى ما ليس بخير ولا شرير ، للخير ، بسبب حضور الشر. عبر سقراط عن رضاه عن هذا الاكتشاف لطبيعة الصداقة ، وشبه حاله بحال الصياد الذى أمسك بفريسته سريعا. لكن سرعان ما انتابه الشك فى صحة هذه النتيجة. وبالعودة إلى مثال الصداقة بين المريض والطبيب ، يقول سقراط إن المريض صديق للطبيب بسبب المرض ، ومن أجل الصحة. (فالصديق يكون لديه دافع أو سبب ، وهدف أو غرض). المرض -وهو الدافع أوالسبب- شر ومكروه ، والصحة -وهى الهدف أو الغرض- خيرة وعزيزة. أى أن الطب صديق وعزيز لنا من أجل الصحة التى هى أيضا عزيزة لنا. وعلى ذلك ألا يمكن أن تكون الصحة أيضا عزيزة من أجل شئ آخر؟ وهذا الشئ الآخر يكون عزيزا من أجل شئ آخر ، وهكذا؟ ألا يمكن فى النهاية الوصول إلى مبدأ أول للصداقة -لا يمكن إحالته إلى أى شئ آخر- من أجله تكون كل الأشياء الأخرى عزيزة؟[٢٧]

يتحدث أفلاطون هنا عن وجود موضوع واحد للصداقة يحب لذاته وليس بسبب شعور المرء بالنقص ، أى يحب لذاته بصورة مستقلة تماما عن رؤية المرء لنفسه باعتباره فى حالة غير مرغوبة. معنى ذلك أن الصداقة لا تتطلب وجود شئ سئ يرغب بسببه المرء فى شئ خير. وبالتالى يتأيد ضرورة رغبة غير ذاتية واحدة على الأقل لا تشتق من رغبة ذاتية. ويتناقض هذا مع التناول الأول الذى طبقا له لا يمكن وجود هذا الشئ. تثير "ليسيس" بذلك معضلة أن الموضوع المناسب للحب لابد أن يرغب فيه لذاته ، بينما على الرغم من ذلك يظهر أن الفاعل لابد أن يريد شيئا لنفسه فى رغبته فيه.[٢٨]

---

27 Plato, Lysis, 218-219 F2.

وانظر أيضا:

Taylor, A.E., Op. Cit., p. 71.

28 Annas, J., Op. Cit., p. 538 & p. 542.

ويذهب سقراط إلى أن كل ما يكون عزيزا من أجل شئ آخر ما هو إلا وهم وخدعة. وأن النموذج الحقيقى للصداقة هو ذلك المبدأ الأول الذى ينتهى إليه كل ما يسمى خطأ صداقة. إنه المبدأ النهائى للصداقة الذى لا يكون عزيزا من أجل شئ آخر. هل يمكن إذن استنتاج أن الخيّر هو الصديق؟[٢٩] هل صحيح أن ما نهتم به يكون "خيرا" وأننا نهتم به "بسبب" الشر (أى للتخلص منه) ؟ إذا كان هذا صحيحا يجب ألا نظل نهتم بأى شئ خير فى عالم يخلو من الشرور ، بقدر ما لا يُقدَّر الطب فى عالم يخلو من المرض.[٣٠]

ومن أجل الكشف عن ماهية الموضوع (الهدف) الأول والنهائى للصداقة ، يقول سقراط: افترض أنه من بين المبادئ الثلاثة: الخير ، والشر، وما ليس خيرا ولا شرا (المحايد) ، لم يتبقَ إلا الخير والمحايد ، وأن الشر قد فنى ولم يعد له تأثير على الأشياء المحايدة. عندئذ لن يكون للخير فائدة ؛ لأنه إذا لم يعد هناك ما يؤذينا لن نحتاج خيرا من أى شئ. يتضح فى هذه الحالة أننا أحببنا الخير ورغبنا فيه فقط بسبب الشر وكعلاج للشر (المرض)، لكن إذا لم يكن هناك مرض فلن تكون هناك حاجة لعلاج. ألا تكون هذه طبيعة الخير يُحَب فقط بسبب الشر لكنه بلا فائدة فى ذاته؟[٣١]

لكن إذا كان للشر أن يفنى فسيظل الإنسان يشعر بالجوع والعطش وغيرهما من الرغبات المشابهة. لكنها لن تكون ضارة ، أى لن تكون شرا لأن الشر قد فنى. ولن تكون خيرا لأن الخير لا مبرر لوجوده بفناء الشر. (فالجوع والعطش وأمثالهما أحيانا تكون خيرا أو شرا لنا، وأحيانا ليست خيرا ولا شرا). [٣٢]

النتيجة إذن أنه إذا فنى الشر ستبقى الرغبات التى ليست خيرا ولا شرا. والإنسان لابد أن يحب ما يرغبه ويتأثر به. وبالتالى فحتى إذا فنى الشر يمكن أن تظل هناك عناصر للحب

---

29 Plato, Lysis, 219-220 F2.
30 Taylor, A. E., Op. Cit., p. 72.
31 Plato, Lysis, 220 F2.
32 Ibid., 220-221 F2.

أو الصداقة. لكن إذا كان الشر سببا للصداقة لن يكون للصداقة وجود بعد فناء الشر. لأن الأثر لا يمكن أن يبقى بعد فناء المؤثّر. [٣٣] وهكذا يبدو أن الصيغة التى وضعها أفلاطون قد فشلت تماما ، واقترح مسار الجدل صيغة جديدة. يبدو الآن أن الرغبة ἐpiqumία هى السبب فى الصداقة .[٣٤]

ويؤكد سقراط أن من يرغب ، يرغب فيما هو فى حاجة إليه ، وما هو فى حاجة إليه يكون عزيزا عليه ، وهو فى حاجة إلى ما هو "ناقص" فيه. يظهر إذن أن الصداقة ، والرغبة ، والحب ، تكون للطبيعى أو ما يتفق أو يتوافق مع الطبيعة. فلابد أن يكون للأصدقاء طبائع تتفق (تتوافق) مع بعضها. فلا يمكن لمن يحِب أو يرغب فى آخر ، أن يحبه أو يرغبه إذا لم يكن بطريقة ما يتفق معه ، سواء فى النفس أو الشخصية أو السلوك أو الشكل. النتيجة إذن أن ما له طبيعة متفقة لابد أن يحَب. أى أن المحِب الحقيقى وليس المزيف لابد بالضرورة أن يحَب.[٣٥]

إن المخلوق "الناقص" يكون مجردا من شئ لابد أن يحصل عليه ليكون ذاته بصورة كاملة. إذن يحدث الشعور بالحب والصداقة والرغبة نحو شئ ينتمى إلى الذات to oἰkeion. إن الأصدقاء أو المحبين إذا كانوا بالفعل ما يدعونه فإنهم "ينتمون" أحدهم للآخر، يمكن القول إن كلا منهم هو "جزء من الآخر". إن الشئ الذى نشعر نحوه بالعاطفة يتفق إذن مع طبيعتنا ، إنه "نفس ذاتنا". وإذا كان كل طرف فى العلاقة هو نفس ذات الطرف الآخر، فلابد أن تكون العاطفة متبادلة. فالمحِب الحقيقى لابد أن يكون حبه متبادلا.[٣٦] وفى هذا تأكيد على أن المعنى المتبادل للحب هو المتضمن بوضوح فى الصداقة ، برغم المفارقات التى أوقع فيها سقراط منكسينوس.

يتساءل سقراط: ما المقصود بـــ ما يتفق مع الطبيعة؟ هل هناك أى فرق بين ما يتفق مع الطبيعة والشبيه؟ إذا كان هناك فرق يكون لهذه الحجة حول الصداقة معنى. أما إذا كان ما

---

33 Ibid., 221 F2.
34 Taylor, A.E., Op. Cit., p. 72.
35 Plato, Lysis, 221-222 F2.
36 Taylor, A.E., Op. Cit., pp. 72-73.

يتفق مع الطبيعة هو فقط الشبيه ، فكيف يمكن التخلص من الحجة الأخرى حول عدم نفع الشبيه للشبيه من حيث هو شبيه؟ وإذا كان الشر يتفق مع الشر ، والخير مع الخير ، وما ليس خيرا ولا شرا مع ما ليس خيرا ولا شرا ، تكون النتيجة الوقوع فى نفس الخطأ المستبعد ؛ حيث سيكون غير العادل صديقا لغير العادل ، والشرير للشرير ، والخير للخير. وكذلك إذا قيل إن ما يتفق مع الطبيعة هو نفسه الخير ، فى هذه الحالة سيكون الخير فقط صديقا للخير ، وقد فندت هذه الفكرة أيضا.[٣٧]

وأخيرا يجمل سقراط الحجج جميعها فيقول: إذا لم يكن المحبوب ، ولا المحِب ،ولا الشبيه ، ولا غير الشبيه ، ولا الخير ، ولا ما يتفق مع الطبيعة ، ولا أى من البدائل التى تحدثنا عنها ، إذا لم يكن أى من هؤلاء أصدقاء فلا أعرف ماذا يتبقى ليقال. وتنتهى المحاورة بتقرير سقراط أنهم لم يتمكنوا من اكتشاف ماذا يكون الصديق.[٣٨]

لكن لا يجب أن تؤدى هذه النهاية اليائسة فى ظاهرها إلى الحيرة ، إذ يبدو أن تأخير فكرة أن ما هو "قريب منا" إلى نهاية النقاش ، يقترح أن هذه الفكرة هى ما يقصد أن يتركه النقاش فى أذهاننا ؛ أن الإنسان لديه "خير طبيعى" وأنه الشئ الوحيد الذى يستحق الاهتمام فى الحياة.[٣٩]

تعقـــــيب

Ø يربط أفلاطون فى "ليسيس" بين الصداقة والمنفعة فلن يحب الإنسان شخصا آخر ويعتبره صديقه إذا لم يكن نافعا له. ويظهر هذا الربط أيضا فى مناقشته للصداقة بين الشبيه والشبيه ، فإذا كان الشبيه غير نافع للشبيه فكيف يكون صديقا له؟ وكذلك فى تناول الصداقة بين الأخيار ، فالخير لديه اكتفاء ذاتى وليس فى حاجة إلى شئ ، ومن ثم ينتفى الحب والصداقة.

---

37 Plato, Lysis, 222 F2.
38 Ibid., 222-223 F2.
39 Taylor, A.E., Op. Cit., p.73.

Ø رغم سلسلة المفارقات الناتجة عن تصرف كلمة jílo‹ اليونانية ، يمكن اعتبار أن أفلاطون كان ميالا للمعنى المتبادل للصداقة ، أى أن الصداقة تستلزم وجود الحب المتبادل بين الطرفين. إن "الحِب الحقيقى لابد بالضرورة أن يحَب" استنتج سقراط ذلك من أن الشعور بالرغبة والحب والصداقة يكون نحو شئ قريب من الذات أو يتفق مع الذات.

Ø يثير أفلاطون فى "ليسيس" معضلة هامة حول الصداقة: فقد ربط من ناحية بين الصداقة والمنفعة، وبين الصداقة والشعور بالنقص والحاجة ، وما يتضمنه ذلك من أن مشاعر الصداقة تحركها الرغبات الذاتية ، ومن ثم تستند المشاعر الغيرية فى الصداقة إلى أساس ذاتى. ومن ناحية أخرى تحدث عن ضرورة وجود مبدأ أول للصداقة يحَب لذاته ، وليس بسبب شعور بالنقص والحاجة ، ومن ثم يكون موضوع الصداقة الحقيقى محبوبا ومرغوبا لذاته ، وليس مجرد وسيلة لتحقيق رغبات ذاتية.

Ø تثير "ليسيس" معضلة أخرى وهى أن الصداقة تقوم فقط بين الأخيار ، على أساس أن الأشرار يتسمون بالتشوش والانفعال والصراع الداخلى ، ولا يمكن أن تقوم بينهم صداقة. بينما من ناحية أخرى يتسم الأخيار بالاكتفاء الذاتى ، فلا يحتاجون شيئا ، ومن ثم لن تكون لديهم رغبة أو حب ، ولن تكون لديهم بالتالى حاجة للأصدقاء. ويقصد أفلاطون بالاكتفاء الذاتى للشخص الخيّر ، أنه مكتف بذاته فيما يخص الفضيلة أو الخير الأخلاقى.

Ø إن النهاية الارتيابية للمحاورة تخفى بعض الإنجازات الإيجابية: فرغم أن سقراط ومحاوروه فشلوا فى توضيح المقصود بـــ "ما هو قريب" oíkeion فقد وضعوا صيغة للصداقة "أن المرء يكون صديقا لما يكون قريبا من ذاته" أو يتفق مع طبيعته. إن عدم تمكنهم من تفسيرها بشكل كامل ليس معناه أنهم رفضوها تماما. وبمجرد أن تدرك الصداقة بمقتضى القرب ، يتحول حب الصديق ليكون امتدادا لحب الذات ، لأن ما ينتمى إلى الذات هو امتداد

للذات.[٤٠] فى الصداقة الحقة ينتمى الصديق لصديقه ، ويكون جزءا منه ، إنه نفس ذاته. وإذا كان الصديق نفس ذات صديقه ، فلابد أن العاطفة فى الصداقة متبادلة.

Ø برغم ما أثارته "ليسيس" من مشكلات حول الصداقة فقد كانت فكرة "الخير" بارزة فى المحاورة. وجدناها عندما ربط أفلاطون بين الصداقة والمنفعة ، ورأينا كيف يمكن النظر للصديق النافع على أنه المنتج للخير بأشكاله المتعددة. وبرزت فى الصيغ المقترحة لتعريف الصداقة مثل أن "المحايد يكون صديقا للخير بسبب حضور الشر". وفى نهاية المحاورة مع فكرة أن القريب من كل منا هو الخير ، وترجيح أن هذه الفكرة تم تأخيرها لغرض التحيز لها.

Ø وبقراءة التفسيرات المتعددة المقترحة لسر الصداقة فى ضوء هذه ذلك ، ربما بدا أن الصداقة بالمعنى الأكمل تقوم على طلب مشترك للخير الأعلى الحقيقى ، ومن ثم تكون ممكنة فقط بين الأخيار. بينما قد تتأسس صداقات أخرى أدنى على طلب مشترك لخيرات أدنى (كالفائدة أو المتعة). أو هذه على الأقل الخطوط التى سيضع أرسطو على أساسها نظريته فى الصداقة ، مضطلعا فيها بكل وجهات النظر المتصارعة فى "ليسيس".[٤١]

الصداقة فى "الأخلاق" الأرسطية:

يكشف التناول الأرسطى للصداقة jīlía عن أن المفهوم اليونانى الذى تعبر عنه هذه الكلمة أوسع بكثير من "الصداقة" بمعناها الشائع (friendship أو ما يساويها فى اللغات الحديثة الأخرى). إنها تشمل ليس فقط العلاقات القريبة بين من لا تربطهم صلات عائلية – والتى تقتصر عليها الكلمات المستخدمة فى اللغات الحديثة – ولكن كل أنواع العلاقات العائلية (خصوصا علاقات الآباء بالأبناء، والأبناء بالآباء ، وعلاقة الزواج نفسها). كما تستخدم الكلمة أيضا لتشير إلى "الصداقة المدنية" civil friendship حيث تدخل هنا بعض علاقات العمل ، والعضوية المشتركة فى النوادى الدينية والاجتماعية والأحزاب

---

40 Seung, T.K., Op. Cit., pp. 38-39.
41 Taylor, A.E., Op. Cit., pp. 73-74.

السياسية.[٤٢] ورغم صعوبة تجنب مصطلح الصداقة كترجمة لـــ jīlía ، فإنه يعبر بدقة عن نوع العلاقة التى تشغل الجانب الأكبر من اهتمام أرسطو ، وإن امتدت مناقشته إلى مدى أوسع من العلاقات مما قد تؤدى هذه الترجمة إلى توقعه.[٤٣]

يبين أرسطو فى بداية بحثه فى الصداقة ضرورة هذا البحث ؛ لأن للصداقة سمة الفضيلة نوعا ، أو على أية حال تتضمن الفضيلة. بالإضافة إلى أنها من الأشياء التى لا يمكن احتمال الحياة بدونها ؛ فلا يمكن لشخص أن يختار وجودا بلا صداقة ، وإن امتلك كل الأشياء الخيرة الأخرى فى العالم. إن الصداقة ضرورية للحياة الخيرة ، ليس هذا فحسب بل إنها فى حد ذاتها شئ خير وجميل.[٤٤]

يميز أرسطو بين ثلاثة أنواع للصداقة يعرّف كل منها بما يجذب الأشخاص ويربط بينهم. هناك صداقات تقوم على اللذة ، وصداقات للمنفعة أو الفائدة ، وصداقات تقوم على الخير والفضيلة. يعتبر أرسطو العلاقات الناتجة صداقات من أنواع مختلفة بمقتضى الاختلافات فيما يشكل الرابطة بين أطراف العلاقة.[٤٥]

---

42 **Cooper, J.M., "Aristotle on Friendship", in Essays on Aristotle's Ethics, ed. by Rorty, A.O., University of California Press, Berkeley, 1980, pp. 101-102.**

43 Kraut, R.,"Aristotle's Ethics", The Stanford Encyclopaedia of philosophy, http://plato.stanford.edu/archives/sum2001/entries/aristotle-ethics/

44 Aristotle, The Ethics of Aristotle, the Nicomachean Ethics translated, by J.A.K. Thomson, Penguin Books Ltd, 1958, pp. 227-228.

(سنشير اختصارا إلى الأخلاق النيقوماخية فيما يلى من هوامش بـــ .N.E).

45 **Wadell, P.J., Friendship and the Moral Life, University of Notre Dame Press, Notre Dame, Indiana, 1989, p. 51.**

* تشير الأخلاق اليوديمية -وهى الإصدار الأقدم للأخلاق الأرسطية- إلى هذا النوع من الصداقة باسم "الصداقة الأولى" والتى تشتق منها كل أشكال الصداقة. ويذكر "ييجر" Jaeger أنها تنشأ مباشرة من تصور المبدأ الأول للصداقة كما ظهر فى "ليسيس". لذلك يرجع "ييجر" إلى الأخلاق اليوديمية الفضل فى الكشف عن العلاقة القريبة بين فلسفة الصداقة عند أرسطو ونظرية المثل عند أفلاطون. لكن بينما كان المبدأ الأول للصداقة فى "ليسيس" قيمة =ميتافيزيقية عليا يبدو كل ما هو عزيز على الأرض مجرد ظل له ، فإن أرسطو –وإن احتفظ بلب تصور أفلاطون وهو إقامة الصداقة على المبدأ

يعتقد أرسطو أن صداقة الخير هى الحالة المركزية التى بالمقارنة بها يمكن فهم الحالات الأخرى. يشير إلى هذا النوع عادة بعبارات مثل "صداقة الناس الخيرين والمتشابهين فى الفضيلة" أو "صداقة الأشخاص الخيرين". ويصفها بأنها الصداقة "التامة"* teleía بما أنها تظهر بشكل كامل وتام كل الصفات المميزة التى يتوقع وجودها فى الصداقة. بتسمية أطراف هذه العلاقة "رجال خيرين" agaqoí ، ووصف صداقتهم بأنها تامة ؛ يبدو أن أرسطو يقصد ضمنا أن الفضلاء تماما – أبطال العقل والشخصية – هم فقط من يتاح لهم تكوين صداقات من هذا النوع الرئيسى. وينتج من ثم أن الناس العاديين الذين يختلط فى شخصياتهم الصفات الخيرة والشريرة لا يناسبهم عقد صداقات من هذا النوع ، أى أن من لا يكون فاضلا بصورة تامة يمكن أن يصادق فقط من أجل لذة أو منفعة ، ولا يمكن لشخص أن يرتبط به من أجل صفاته الخيرة. هل يقصد أرسطو ذلك بالفعل؟[٤٦]

يبين أرسطو أنه ليست كل حالة لحب jileín شئ تدخل فى نطاق الصداقة: يمكن للمرء مثلا أن يحب النبيذ وليس هذا دليلا على صداقة بينه وبين النبيذ؛ لأن النبيذ لا يبادله الحب ، ولأنه لا يتمنى الخير للنبيذ. وهكذا توجد الصداقة فقط حيث تريد الخير للطرف الآخر

الأخلاقى للخير - يجعل الخير قيمة أخلاقية عينية تتطور داخل شخصية الإنسان نفسه. فلا يعود الأساس فوق الشخصى لقيمة العلاقة الإنسانية يصرف الانتباه عن شخصية الصديق ، بل إنه على العكس يتركز ويتجسد فيها.

Jaeger, W., Aristotle, fundamental of the history of his development, trans. by R. Robinson, Oxford University Press, 1948, pp. 243-244.

46 Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 303-304.

* لأن الصداقة تتطلب هذه المبادلة أو التبادل يوسع أرسطو من نطاق الصداقة ، فلا يجعلها تقتصر على العلاقات القريبة بين شخصين ، وإنما يمدها لتشمل العلاقات التى تتضمن العاطفة المتبادلة ، مثل علاقات= =الأسرة، والنوادى ،وعلاقات الموطنين داخل الدولة. لا تعتمد هذه العلاقات على المعرفة المباشرة لشخص بالآخر ، لكن أطرافها يتبادلون العاطفة والاهتمام من خلال القواعد المرعية فى كل رابطة. وقد وجه أرسطو عناية خاصة لهذا النوع من العاطفة كما يوجد بين المواطنين ، والذى يتوسطه شكل الحكومة فى دولة المدينة ، ويسمى هذه "الصداقة المدنية" ، ويجعلل هذه الصداقة هامة لوحدة المجتمع السياسى ، والأداء الجيد لوظيفته.

Pakaluk, M., Aristotle's Nicomachean Ethics, an introduction, Cambridge University Press, 2005, pp. 263-264.

لذاته ، وتكون هذه الإرادة الخيرة متبادلة. أما من يريد الخير لشخص آخر ولا يرد الشخص الآخر هذه الإرادة فيطلق عليهم أنهم ميالون للخير euńouV وليسوا أصدقاء. لأن الصداقة هى الإرادة الخيرة عندما تكون متبادلة*. حتى يكون الناس أصدقاء لابد أن يكون لديهم: (أ) إرادة طيبة متبادلة تتخذ شكل تمنى كل طرف لخير الآخر لذاته ، (ب) معرفة بوجود هذا الشعور.[٤٧]

يبدو أن أرسطو يصادق هنا على الفكرة المركزية المتضمنة فى تعريف الصداقة فى "الخطابة" أن الصداقة هى الإرادة الخيرة المتبادلة. ويجعلها صفة مميزة للصداقة من أى نوع أن يريد الصديق الخير لصديقه من أجل صديقه ذاته. يستلزم ذلك أنه ليس فقط فى الصداقة "التامة" لكن أيضا فى صداقات اللذة والمنفعة يريد الصديق الخير لصديقه من أجل الصديق ذاته.[٤٨]

من ناحية أخرى يقابل أرسطو مرارا النوعين الاشتقاقيين للصداقة مع النوع الرئيسى بتأكيد تمركز أصدقاء اللذة والمنفعة حول الذات. وهكذا يقول إنه فى الصداقات القائمة على توقع الحصول على منفعة أو لذة ، لا يحَب الصديق لذاته وإنما كمصدر لمنفعة أو لذة ما. لذلك يكون الأصدقاء على استعداد لحل ارتباطهم عندما تتوقف المنفعة أو اللذة. مع اختفاء الدافع تختفى الصداقة ذاتها ، ويموت الحب موتا طبيعيا. يبدو ذلك وكأنه يقترح أنه فى صداقات اللذة والمنفعة يهتم كل طرف بخيره فقط . هل معنى ذلك أن أرسطو متناقض فى هذه النقطة؟[٤٩]

يعتقد Cooper أنه إذا كان أرسطو يرى أن أصدقاء اللذة والمنفعة متمركزون حول الذات كلية ، وأن الفضلاء تماما هم وحدهم القادرون على عقد صداقات من أى نوع آخر ، فإنه سيكون متبنيا لرؤية قاسية جدا. إن نماذج الفضيلة فى العالم قليلة ولو أن هذه النماذج فقط هى التى تستطيع عقد صداقات من النوع الرئيسى ، فإن معظم الناس لن يكونوا

---

47 **N.E., p. 231.**
48 **Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 304-305.**
49 **Cooper, J.M., Op. Cit., p. 305.**
& N.E., pp.231-232.

قادرين إلا على الارتباطات المتمركزة حول الذات تماما ، وستكون هذه نتيجة محزنة. ويحاول التدليل على أنه برغم الظواهر الأولية فإن أرسطو لا يجعل الصداقة المركزية حكرا على الأبطال الأخلاقيين، ولا يزعم أن صداقات اللذة والمنفعة متمركزة حول الذات كلية ، وأنها خليط معقد ومراوغ من البحث عن الذات وإرادة خيرة وفعل خير لا يهتم بالذات.[٥٠]

يميز أرسطو بين أنواع الصداقة بالإشارة إلى ما يجعل الطرفين يحب أحدهما الآخر. إن ما يعطى الصداقة سمتها كنوع معين ليس بالطبع الصفات الحقيقية للشخص ، لكن الحالة العقلية للشركاء – نواياهم وتصوراتهم أحدهم للآخر. فى حالة أصدقاء اللذة والمنفعة فإن لذة أو منفعة (مدرَكة) يعطيهم إياها أصدقاؤهم هى التى تجعلهم يحبونهم. ليس هناك حاجة للاعتقاد أن الصديق سار أو نافع فى كل سياق حتى توجد الصداقة. ربما تكون صداقة اللذة أكثر اكتمالا وكمالا فى نوعها كلما ازداد تنوع اللذات التى يمكن أن يتشاركها الأصدقاء واتسع مجالها. لكن هذا يعد اختلافا فى المجال والكمال داخل فئة صداقات تنتمى كلها لنفس النوع.[٥١]

يمكن افتراض تنوع مشابه فى صداقات الفضيلة. قد تتضمن بعض صداقات الفضيلة معرفة فضيلة كاملة وتامة ، وقد تقوم صداقات أخرى من نفس النوع فقط على معرفة بعض الصفات الخيرة أخلاقيا التى يمتلكها (أو يعتقد أن يمتلكها) الطرف الآخر. هنا أيضا يتحدد نوع الصداقة بفحص التصور الذى وفقا له يحدث الارتباط. إذا كان صفات شخصية خيرة فى الشخص هى التى تجعل المرء يحبه ستكون صداقة فضيلة ، حتى برغم أن هذه الصفات قد تكون – ويعرف أنها- محدودة فى خيرها ، أوتقترن بصفات شخصية أخرى ليست خيرة أو حتى سيئة. يعتقد Cooper أن أرسطو يفهم صداقة الفضيلة بهذه الطريقة ، رغم امتياز تلك الحالة الأكثر كمالا وهى ارتباط رجلين خيرين تماما.[٥٢]

---

50 Cooper, J.M., Op. Cit., p. 305.
51 Ibid., pp. 305-306.
52 **Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 306-307.**

إن مناقشة أرسطو للصداقة بين غير المتساويين تزيد الأمر وضوحا. يعترف أرسطو أن الصداقة تتطلب المساواة المطلقة – مساواة المنزلة بين الشركاء ، ومساواة اللذة أو المنفعة المعطاة والمستقبلة أو الخير الأخلاقى. لكن تحدث أيضا فى كل من الأنواع الثلاثة صداقات غير متساوية. فى بعض الأحيان يعطى طرف لذة أكثر مما ينال ، أو يستفيد من الارتباط أقل من صديقه. وبصورة مشابهة يبين أرسطو وجود صداقات حيث يعرف أن طرفا أفضل أخلاقيا من الآخر. فئة من صداقات الفضيلة غير المتساوية تلك التى بين الزوج والزوجة. (يقصد أرسطو فيما يبدو أن الرجل أكثر تفوقا من المرأة أخلاقيا ، يأتى التفاوت فى الخير من أن المرأة أدنى بصورة فطرية ، وبذلك تكون الصداقة بين الرجل الأفضل مطلقا والمرأة الأفضل مطلقا غير متساوية). لكن أرسطو يدرك أيضا صداقات الفضيلة غير المتساوية بين من يتساوون فى منزلتهم الطبيعية. سيوجد فى هذه الحالة صداقة فضيلة حيث الشخص المتفوق يحب الأدنى من أجل هذه الفضائل كما يمتلكها ، بينما يتحقق أن شخصيته ليست خيرة تماما. وما هو أكثر أهمية مناقشة أرسطو لصداقة الفضيلة التى تبدأ متساوية لكن يتهددها الانحلال عندما يتحسن طرف فى الشخصية ويتفوق على الآخر.[٥٣]

ليس من شك إذن أن ما يجعل الصداقة صداقة فضيلة هو تفوق الشخصية ربما الجزئى وغير الكامل. وأن الصداقة التامة للفضلاء تماما هى فقط حالة خاصة لها أهميتها. لهذا يبدو من الأفضل الإشارة إلى الصداقة من النوع المركزى ليس "كصداقة الخير" كما يفعل أرسطو غالبا ، لكن كما يفعل أحيانا "كصداقة الشخصية". إن تعبير "صداقة الشخصية" يظهر بدقة أن أساس العلاقة معرفة صفات خيرة للشخصية ، بدون أن يستلزم ذلك أن يكون الشركاء أبطالا أخلاقيين. صحيح يفضل أرسطو أن يميز النوع المركزى للصداقة بالتركيز على صداقة الخيرين تماما ؛ فهو يبحث دائما عن الأفضل والأكمل عندما يحاول تعريف شئ ما ، لكنه لا يخطئ فيجعل الحالة التامة العضو الوحيد للفئة.[٥٤]

---

53 **Ibid., p. 307.**
54 Cooper, J.M., Op. Cit., p. 308.

يصف أرسطو صداقة الشخصية أو الفضيلة بأنها تامة ، ليس لاتصاف الأصدقاء بالفضيلة فحسب ، وإنما بسبب الإمكانيات الأخلاقية للصداقة. تعد هذه العلاقة بإمكانية النمو فى الفضيلة والشخصية ، والذى لن يكون ممكنا خارج هذه العلاقة. إن حقيقة أن فضيلة كل طرف غير كاملة ، هو نفسه السبب الذى يجذب أحدهما للآخر ، ويجعله فى حاجة لصداقة الآخر. إنه من خلال صداقة الفضيلة أو الشخصية تنمو وتتطور الصفات الخيرة التى يمتلكها الأصدقاء. إن صداقة الفضيلة أو الشخصية تامة ليس لأن الأصدقاء كذلك ، ولكن لأن الحياة الأخلاقية غير ممكنة بدونها.[٥٥] يذكر أرسطو أن صداقة الأخيار خير وتزداد فى الخير نتيجة ارتباطهم. يصير الأصدقاء أفضل بصورة إيجابية بتفعيل صداقتهم وتصويب أخطاء بعضهم البعض ، فكل صديق يسعى إلى أن ينقل إلى نفسه المميزات التى يعجب بها فى الآخر. ويستشهد أرسطو بالقول المأثور: من النبلاء يمكن أن تتعلم الأفعال النبيلة.[٥٦]

إن صداقة الشخصية إذن هى النوع الرئيسى والمركزى للصداقة. توجد هذه الصداقة عندما يصل شخصان أمضيا معا وقتا كافيا ليعرفا ويثقا أحدهما بالآخر ، إلى أن يحبا أحدهما الآخر بسبب صفاتهما الإنسانية الخيرة. يحب كل شخص للآخر لصفاته الشخصية الخيرة ، فإنه يتمنى له الخير لذاته، اعترافا بخيريته ، ومعروف لهما بالتبادل أن هذه الإرادة الخيرة متبادلة. إنهما يتمتعان بصحبة أحدهما للآخر ، وينتفعان بها ، وبالتالى يقضيان وقتهما معا. إن هذه الصداقة إذا ما تكونت تميل إلى أن تكون متصلة ودائمة ؛ بما أنها تقوم على المعرفة والحب المتبادلين للصفات الشخصية الخيرة ، وهذه الصفات إذا ما تشكلت تميل إلى أن تكون دائمة.[٥٧]

تعد صداقات اللذة والمنفعة صداقات فقط لمشابهتها لهذه الحالة المركزية. وهكذا يكون أصدقاء الشخصية مصدر لذة ونفع أحدهما للآخر. وإذا كان أرسطو يقصد أن يتبنى فى "الأخلاق النيقوماخية" تعريف "الخطابة" للصداقة ، فإن الأنواع الثلاثة تشترك فى أن الصديق

---

55 Wadell, P.J., Op. Cit., pp. 54-55.
56 N.E., p. 285.
57 Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 308-309.

يريد الخير لصديقه من أجل صديقه ذاته ، ويكون معروفا لهما بالتبادل أن هذه الإرادة الخيرة متبادلة. لكن مع ذلك لا يخلو الأمر من صعوبات.[٥٨]

يرى أرسطو فى الفصل الثانى من الكتاب الثامن من الأخلاق النيقوماخية أن الإرادة الطيبة المتبادلة المميزة للصداقة لابد أن تنشأ عن أحد الأسباب الثلاثة (اللذة ، المنفعة ، الخير) التى لها القدرة على إنتاج الصداقة. ماذا يقصد أرسطو؟ ربما يفسر الأمر بأنه فى صداقة اللذة يريد الشخص لصديقه أن ينجح ؛ لكى يمكن للذته (المتمنى خيرا) أن تستمر أو تزداد. وكذلك يريد صديق المنفعة أن يكفل حاجة صديقه ؛ لكى يمكن لصديقه أن يستمر أو يكون أكثر قدرة على الاهتمام بحاجاته. أى أن الإرادة الخيرة على أساس اللذة أو المنفعة تعنى الإرادة الخيرة من أجل الحصول على اللذة أو المنفعة للذات. لكن يعترض على هذا التفسير لأنه يدين أرسطو بعدم الاتساق فى التفكير. إن تمنى الخير للصديق لأجل الصديق ذاته ، لا يتسق مع تمنى الخير للصديق لكى يكفل منافعه أو متعه (المتمنى خيرا).[٥٩]

تفسير آخر أكثر قبولا: فى حالة صداقة الشخصية يتمنى الصديق الخير لصديقه من أجل تفوق شخصيته. وفقا لهذا التفسير يتمنى الشخص الخير لصديقه "لمعرفة أن الصديق يمتلك شخصية خيرة". لذلك فهى تعبر عن نتيجة أن الصديق خيّر أكثر من غاية ما لدى المتمنى خيرا فى رغبته أن ينجح. وهكذا يتمنى صديق الشخصية لصديقه أن ينجح لأنه يعترف بشخصيته الخيرة ، ويعتقد أنه من الملائم لأولئك الخيرين أخلاقيا أن ينجحوا. إن تمنى الخير وفعل الخير استجابة لما يكونه الشخص ولما فعله ، أكثر من مجرد التعبير عن أمل فى المستقبل. إذا تم تفسير المسألة بهذه الطريقة السببية فى كل الحالات الثلاث ، فلا توجد صعوبة فى فهم نسبة eunoia لكل أنواع الأصدقاء. وفقا لهذا التفسير فإن أصدقاء اللذة أو المنفعة سيميلون، نتيجة اللذات أو المنافع التى يحصلون عليها ، لتمنى الخير أو العمل من أجل خير الشخص

58 **Cooper, J.M., Op. Cit., p. 309.**
59 **Ibid., pp. 309-310.**

الآخر، بصورة مستقلة عن لذتهم أو خيرهم هم أنفسهم. إذن ستوجد صداقة كاملة عند الاعتراف المتبادل بوجود هذه النوايا من كلا الطرفين.[٦٠]

تتفق Martha C. Nussbaum مع هذا التأويل عندما تذكر أن الأنواع الثلاثة للصداقة تتميز ليس وفقا لأغراضها وأهدافها التى هى دائما الصديق وخيره ، لكن وفقا لأسس الصداقة الثلاثة: اللذة والمنفعة والشخصية الخيرة. هذه أسس مختلفة للصداقة لكنها ليست الهدف أو الغاية النهائية للعلاقة. يكون الشخصان صديقين على أساس من الأسس الثلاثة ، لكن الهدف الذى يحاولان تحقيقه نوع من النفع المتبادل. لهذا فإن صداقات اللذة والمنفعة رغم أنها ليست تامة ، فإنها مع ذلك ليست مستغِلة. ولو كانت مستغلة باستهداف كل شخص للذته أو منفعته فقط ، وليس لذة أو منفعة الصديق ، لما كانت صداقات على الإطلاق. إنه بدون تبادل تمنى الخير الحقيقى من أجل الصديق لذاته لن تستحق العلاقة اسم الصداقة على الإطلاق.[٦١]

مع ذلك يوجد اختلاف هام بين تمنى الخير كجزء من صداقة الشخصية ، وتمنى الخير فى الحالتين الأخريين. يتمنى صديق الشخصية الخير لصديقه بما أنه ولأنه رجل خيّر ، لكن الصفات الشخصية الخيرة إذا اكتسبت بالكامل تكون ثابتة ؛ بما أنها تنتمى إلى طبيعة المرء الجوهرية ككائن إنسانى ، والطبيعة الجوهرية للمرء إذا تحققت بالكامل تكون جزءا ثابتا منه. فى المقابل تعتبر اللذة والمنفعة خصائص عرضية للشخص (وتعتمد على الأحوال والاهتمامات الخاصة للآخرين أيضا) ، ولذلك فإنها عرضة للتغير. وعلى هذا تكون صداقات الشخصية أكثر ثباتا بكثير من صداقات اللذة والمنفعة.[٦٢]

---

60 Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 310-311.

61 نقلا عن:

Wadell, P.J., Op. Cit., pp. 56-57.

62 Cooper, J.M., Op. Cit., p. 313.

لقد تكونت صداقة الشخصية عن طريق اتفاق على الخير وتشابه فى الفضيلة. إن هذا الحب المشترك للخير هو ما يجذب الأصدقاء. ومن ثم فإن كلا يتمنى خير الصديق من أجل الصديق ؛ لأن كلا منهما يحب الخير والصديق يتضمن لدرجة ما هذا الخير ، فهناك وحدة بين الخير المطلوب والشخص الذى يتضمنه. كما أن طلب خير الآخر تنمية لخير الذات ، فهذا الحب المشترك للخير أو الفضيلة هو ما يصيره الأصدقاء من خلال الحب ، ومن ثم فمن المناسب أن يحب أحدهم الآخر لأجله ، لأن كلا قد أصبح الخير الذى يجد فيه كلاهما المتعة. هذه أفضل الصداقات لأنها الأكثر أهمية من الناحية الأخلاقية.[٦٣]

من ناحية أخرى فإن تمنى المرء الخير لصديقه لأنه مصدر لذة أونفع له ، يفرض ضمنيا حدودا من نوع خاص وضيق على تمنيه الخير. إن اهتمام المرء بخير الشخص الآخر يمتد فقط إلى الحد الذى يبقى فيه شخصا من نوع خاص ؛ سارا أو نافعا. إن الالتزام الأول للمرء استبقاء ملكية اللذة أو النفع ، وأى خير يتمناه المرء له لذاته لابد أن يتوافق مع حفظ هذه الملكية الخاصة ، والتى على أساسها يتمنى المرء الخير لصديقه فى المقام الأول.[٦٤]

لا يصرح أرسطو بأن الإرادة الخيرة فى صداقات اللذة أو المنفعة تستلزم هذه التحديدات ، لكنه يصل إلى النتيجة الموازية عن أصدقاء الشخصية. وهكذا يذهب إلى أن الأصدقاء لا يتمنون أن يصبح أصدقاؤهم آلهة ؛ لأنه إذا أصبح الصديق إلها ، يتوقف عن أن يكون كائنا إنسانيا ، والمرء يكون صديقا لكائن إنسانى ، ولذلك يتمنى نجاحه ككائن إنسانى. إذا كان تمنى الخير لصديق الشخصية محدودا ضمنيا بهذه الخيرات التى يمكن أن يكتسبها بينما يبقى ما يكونه جوهريا (كائنا إنسانيا) ، فإن أصدقاء اللذة والمنفعة سيريدون نجاح أصدقائهم ، فقط داخل الحدود التى يفرضها وجود واستمرار تلك الخصائص الخاصة للذة والنفع ، والتى يكونون أصدقاء باعتبارهم مالكين لها. إن الاهتمام الغالب لصديق المنفعة هو من أجل منفعته الخاصة ، لكن ليس معنى ذلك أن كل فعل وأمنية له تستهدف فى النهاية تحقيق منفعة له. إنه

---

63 Wadell, P.J., Op. Cit., pp. 52-53.
64 Cooper, J.M., Op. Cit., p. 313.

يحب صديقه حقيقة ، ولديه اهتمام غير ذاتى حقيقى بخيره. وبالمثل يوجد نفس النموذج فى صداقات اللذة ، حيث الخليط المعقد والمراوغ من تمنى الخير وفعل الخير الباحث عن الذات والمهتم بغير الذات.[٦٥]

إن البحث عن الذات فى صداقات الشخصية أقل منه فى صداقات اللذة والمنفعة. يحب صديق الشخصية صديقه بسبب خصائص تنتمى إلى الصديق جوهريا وليس عرضيا. ومن ثم فإن تمنى الخير المميز لهذه الصداقة لا يحدث داخل سياق محدود كذلك الذى تفرضه الرغبات المتمركزة حول الذات فى صداقات اللذة والمنفعة. يتمنى صديق الشخصية الخير لصديقه بأى طريقة لا تتعارض معه ككائن إنسانى خيّر. إنه يريد ويتوقع اللذة والمنفعة من ارتباطه بصديقه ، لكن استهدافهما ليس شرطا جوهريا للصداقة ذاتها. إنه يرتبط بصديق خيّر بسبب خيره ، ويمكن أن تنتج اللذة والمنفعة فى وقتهما ، لكن قصده فى الاحتفاظ بالصداقة يتأسس على خير الصديق وليس على لذته أو نفعه. لذلك فرغم أن تمنى الخير المهتم بغير الذات يوجد فى الأنواع الثلاثة للصداقة ، إلا أنه أوسع وأعمق فى صداقة الشخصية ؛ لأنه فيها فقط تستند العلاقة إلى تصور للصديق ينطبق على ما يكونه بصفة جوهرية.[٦٦]

لا يرتكب أرسطو الخطأ – الذى يبدو أن القراءة السطحية تدينه به – من اعتبار أى علاقة بين شخصين أو أكثر ، يحصلان من خلالها على لذة أو نفع صداقة. إن رجل الأعمال ليس صديقا لكل زبائنه المنتظمين ، ومن قبيل التهكم وصف العلاقة الشخصية المستغلة تماما بأنها صداقة. تتطلب الصداقة – على الأقل – بعض الاهتمام المؤثّر بخير الشخص الآخر (مشتملا على نفعه ولذته). يبدو أن أرسطو يشعر – مثلنا – بأن توقع بعض الاهتمام بخير الصديق لذاته جزء مما تنقله الكلمة نفسها. ولأن العرف العام يعتبر من يرتبطون معا عن طريق اللذة أو المنفعة فحسب أصدقاء ، فلابد أن تقبل النظرية الفلسفية أن يكون هؤلاء أصدقاء (وإن كانوا من النوع الاشتقاقى).[٦٧] يصف الناس العلاقات التى تقوم على اعتبارات المنفعة أو

---

65 Cooper, J.M., Op. Cit., p. 314-315.
66 Ibid., p. 315.
67 Ibid., p. 316.

اللذة "بالصداقة" ؛ لذلك لابد أن نصف نحن أيضا (بحسب قول أرسطو) من يكونون هذه العلاقات "بالأصدقاء". يستلزم هذا وجود أكثر من نوع للصداقة. وتلك التى توجد بين الأخيار تماما هى الصداقة بالمعنى الحقيقى والأولى للكلمة. أما الأنواع الأخرى فتكون صداقات فقط بنوع من المشابهة أو المجاز ، الذى يبرر بوجود نوع من الخيرية فيهم ؛ فاللذة خير فى نظر محب اللذة ، وهناك بالطبع نوع من الخيرية فى المنفعة. بإمكان الأخيار فقط أن يصادقوا من أجل الحب فقط ؛ لأن كلا يحب الآخر لذاته ولخيريته. أما الآخرون فيكونون أصدقاء عرضيا فقط وعلى أساس تشابه معين.[٦٨]

إن حقيقة أن أرسطو حدد أنواعا ثلاثة للصداقة تفترض أن كل حياة إنسانية تحتاج أن تشتمل عليها جميعا. صحيح أن صداقة الشخصية هى الأكثر أهمية من بين الثلاثة ، لكن ليس بالإمكان أن تكون كل صداقة من هذا النوع. إن كل نوع من الصداقة خير لأنه يساهم فى خيرنا ويكون عنصرا فى الحياة الأخلاقية. لكن صداقة الشخصية هى الأفضل بسبب ما يمكن أن تفعله للأصدقاء ، إنها تحقق لهم الفضيلة وتجعلهم خيرين. بهذا المعنى لا يوجد أفضل من صداقة الشخصية لأنها تجلب الخير الذى يشتمل عليه الكمال الإنسانى. إن ما يميز صداقات الشخصية عن غيرها ليس الطريقة التى ينظر بها الصديق للآخر ، لكن جوهر الصداقة ذاتها. تمتلك صداقات الشخصية أو الفضيلة إمكانيات أخلاقية أكبر من صداقات اللذة أو المنفعة. يجب أن يكون كل منها جزءا من كل حياة إنسانية ، لكن صداقات الفضيلة صداقات بالمعنى الأفضل ؛ لأنه لا يمكن لأى شخص أن يكون خيرا وبالتالى إنسانا بدونها.[٦٩]

بسب ما تقدم يمكن القول إذن إن آراء أرسطو فى الصداقة لا تدينه بالاعتقاد أن كل شخص تحركه الدوافع الأنانية. إن للناس العاديين القدرة على عقد صداقات الشخصية بما يتضمنه ذلك من الاهتمام غير الأنانى بالآخرين. كما تتضمن صداقات اللذة والمنفعة نفسها درجة جديرة بالاعتبار من الاهتمام غير الأنانى بخير الآخرين.[٧٠] ليس هناك ما يمنع أن تمارس

---

68 N.E., pp. 235-236.
69 Wadell, P.J., Op. Cit., p. 57.
70 Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 315-316.

أفعال الصداقة جزئيا من أجل خير الصديق ، وجزئيا من أجل خير الذات. إن العمل من أجل الآخر لا يتطلب فى حد ذاته التضحية بالذات. إنه يتطلب الآهتمام بشخص آخر غير الذات ، لكنه لا يتطلب فقدا للعناية بالذات. لأنه عندما نعرف كيف ننفع صديقا من أجله ، فإننا نمارس الفضائل الأخلاقية ، وهذه بالضبط ما تتضمنه سعادتنا. إن من يمتلك الحكمة العملية يعرف مدى الحاجة للأصدقاء ، للممارسة الدائمة للفضائل بما يحقق الخير له.[٧١]

الصداقة وحب الذات:

يرى أرسطو أن العناصر المميزة للصداقة ترجع أصولها إلى مشاعر التعاطف والود التى يشعر بها الإنسان الخير نحو نفسه. ويحدد خمس علامات تعريفية تعرّف بإحداها الصداقة (والصديق أيضا). ويرى أن كلا من هذه العلامات يظهر أيضا فى المشاعر التى يشعر بها الإنسان الخيّر نحو نفسه. يُعرّف الصديق بأنه: (١) من يتمنى ويفعل ما هو خير -أو يظهر له أنه خير- صديقه من أجل صديقه. أو (٢) من يتمنى لصديقه أن يوجد ويبقى من أجل الصديق. أو (٣) من لا ينفصل عن صديقه (ملازم له). أو (٤) من لديه نفس المثل. أو بأنه (٥) من يشارك صديقه أفراحه وأحزانه. [٧٢] يريد أرسطو هنا أن يبين أن الصداقة بالآخرين توجد بصورة نموذجية فى صداقة الإنسان الخيّر بذاته ، رغم اعترافه بأن الحديث عن الحب أو الصداقة بين المرء وذاته أمر لا يخلو من الاصطناع.[٧٣] * ويضيف أرسطو أنه لأن الإنسان الخيّر يشعر بهذه المشاعر المميزة نحو نفسه ، ولأنه يشعر تجاه صديقه كما يشعر تجاه نفسه ؛ لأن

---

71 Kraut, R., Op. Cit. (the same site).
72 N.E., p. 266.
73 Annas, J., Op. Cit., p. 539.

*يذكر Pakaluk أن المودة أو الصداقة مع الذات يكون ذا معنى إلى المدى الذى يمكن أن يعتبر الفرد بطريقة ما اثنين. ويمكن للفرد أن يعتبر اثنين بطرق متنوعة: نفس الفرد فى وقتين مختلفين ، جزءان من الفرد فى وقت واحد، وأيضا جزء من الفرد بالنسبة للكل. ويرى "ييجر" أنه يمكن تصوير العلاقة الأخلاقية للأنا بذاتها بتمييز الجزء العقلى للنفس عن الأجزاء الدنيا والتى مع ذلك يمكن للعقل أن يحركها.

=Pakaluk, M., Op. Cit., p. 278.
& Jaeger, W., Op. Cit., p. 245.

الصديق "ذات ثانية" ، يمكن اعتبار الصداقة إذن تعبيرا عن أحد هذه المشاعر ، والأصدقاء هم من يشعرون بها.[٧٤]

يستند أرسطو فى ادعائه هذا إلى: (أولا) أن الإنسان الخيّر يخلو من الصراع الداخلى، ثابت لا يتغير فى اعتقاداته أو اتجاهاته ، تسره وتحزنه نفس الأشياء دائما. وينطبق هذا الاتساق الداخلى للأخيار على الصداقة بالآخرين بقدر انطباقه على الصداقة بالذات. و(ثانيا) يتمنى الإنسان الخيّر ما هو خير لنفسه ولأجل ذاته. لأن الوجود خير للإنسان الخيّر ، وكل إنسان يتمنى الخير لنفسه ، بينما لن يتمنى أى إنسان متعمدا أن يمتلك كل الخيرات فى العالم فى مقابل أن يصبح شخصا آخر ، إنه يتمنى دائما أن يكون الإنسان الذى يكونه أيا ما كان.[٧٥]

أثارت عبارة "ذات أخرى" سخرية البعض استنادا إلى أن المرء لا يمكنه منطقيا أن ينظر لأفكار وآلام آخر كما ينظر لأفكاره وآلامه. لكن بالرجوع للمعضلة التى أثارتها محاورة "ليسيس" (أن الموضوع المناسب للحب لابد أن يرغب فيه لذاته ، بينما على الرغم من ذلك يبدو أن الفاعل لابد أن يريد شيئا لنفسه فى رغبته فيه). يجيب أرسطو بأن حالة الرغبة فى خير الصديق لأجل الصديق توجد بصورة مناسبة فقط فى حالة المرء ذاته. وحتى لا يفسر ذلك لمصلحة الأنانية ؛ تأتى أهمية فكرة أن الصديق يكون "ذاتا أخرى" ، ينظر إليه المرء كما ينظر لنفسه ، ليس بمعنى التفكير فى آلامه كما لو كانت آلامى ، وإنما بمعنى اعتبار رغباته وتحقيقها كما أعتبر رغباتى وتحقيقها ، أى أن ألحق بها اهتماما كبيرا وأبذل جهودا كبيرة لتحقيقها.[٧٦] عندما يتحدث أرسطو عن معاملة الإنسان لصديقه "كذات أخرى"، فإنه يشير إلى حقيقة أن الإنسان يمكنه بذلك أن يوسع من دائرة اهتماماته ؛ بحيث يمكن أن يصبح خير الآخر موضوع اهتمام مباشر كخيره ذاته. يمكن تشبيه ذلك بحالة الأم التى تشعر بالألم من ألم طفلها بقدر ما

---

74 N.E., p. 267.
75 Annas, J., Op. Cit., pp. 540-541.
& N.E., pp. 266-267.
76 Annas, J., Op. Cit., p. 542.

تشعر به من ألم جسمها ذاته ، وبذلك يمكن أن تسمى غيريتها أنانية بدون أن يتضمن ذلك أى اهتمام.[٧٧]

يمكن للمرء فضلا عن ذلك أن يحب الصديق لأجل الصديق ، رغم أن هذا الحب يبدو أنه يتضمن رغبة تخص الفاعل ، وهذا لأن الحالة الأولية لحب شخص من أجل هذا الشخص هى تلك التى لديها إشارة إلى الفاعل ، لكنه الفاعل الذى يمكنه فى الحقيقة أن يصل ليعتبر رغبات آخر كما يعتبر رغباته. وبذلك يمكن تجنب التناقض الظاهر فى "ليسيس" ، مقابل بعض التكلف فى الحديث عن علاقة صداقة بين الإنسان وذاته.[٧٨]

وقد أدى تصور أرسطو للصديق "كذات أخرى" إلى أن يفحص حب الذات. هل يجب أن يحب الإنسان نفسه أوالآخر أكثر؟ يُعتقد عموما أن الإنسان السئ يفعل كل شئ بدافع أنانى ، ويُفترض أن الإنسان الخير يعمل وفقا لمبادئ سامية ، ويتجاهل مصالحه الخاصة من أجل مصالح صديقه. هذا بينما الصديق الأفضل هو الشخص الذى يتمنى الخير لصديقه من أجل الصديق ، ولا يفى أحد بهذا الشرط جيدا كما يفعل الإنسان تجاه نفسه. إذ كما تبين فإن كل المشاعر الودية للإنسان نحو الآخرين هى امتداد لمشاعره نحو نفسه. تنطبق علامات الصداقة بصورة أفضل على الذات ، فالإنسان هو الصديق المفضل لذاته ، والنتيجة أن الإنسان يجب أن يحب نفسه أفضل. ويتساءل أرسطو أى من هذين الرأيين يجب أن نقبله عمليا؟[٧٩]

يجيب أرسطو عن هذا التساؤل بالتمييز بين معنيين لحب الذات: حب ذات سئ وحب ذات جيد ، يتحدد المعنى بحسب نوع الذات التى تحب. قد تكون ذاتا تجد سعادتها فى المال واللذات الجسمية وغيرها من الأشياء التى يتصارع الناس من أجلها. إن من يستحوذ على أكثر مما يحق له من هذه الأشياء يرضى رغباته وانفعالاته والجزء غير العاقل من نفسه. هذا

---

77 Ross, D., Aristotle, Methuen & Co. LTD, London, 1966, pp. 231-232.
78 Annas, J., Op. Cit., p. 542 & p. 544.
79 N.E., pp. 273-274.

وأيضا:

Pakaluk, M., Op. Cit., p. 259.

الشخص هو من يطلق عليه الإنسان العادى "محب للذات". أغلب الناس من هذا النوع وبالتالى فإن حب الذات لدى معظم الناس شئ سئ ، ومن هنا النظرة الانتقادية له.[٨٠]

وقد تكون الذات التى تحب ذاتا تجد اهتمامها فى التفوق الأخلاقى على الآخرين وإنجاز الأفعال الفاضلة. هذا الإنسان يرضى ويطيع العقل باعتباره العنصر المسيطر فى الإنسان والذى هو نفسه على الحقيقة. إن الأفعال التى ينجزها الإنسان بحسب العقل هى الأفعال التى يعتقد أنه أنجزها بنفسه وبإرادته. إن الإنسان الخير يحب العقل فوق أى جزء آخر من نفسه ؛ ومن ثم فهو محب للذات بمعنى مختلف ، إلى المدى الذى تختلف به حياة العقل عن حياة الانفعال. ومن ثم فأولئك الذين يكرسون جهودهم لإنجاز الأفعال النبيلة يحصلون على الاستحسان والمدح من الجميع. لذلك من الصواب للإنسان الخير أن يكون محبا للذات ؛ لأنه بذلك يسمو بشخصيته ، وفى نفس الوقت يسهم فى تحقيق الخير العام. أما الإنسان السئ فيجب ألا يكون محبا للذات ؛ لأنه بخضوعه للانفعالات الدنيئة يؤذى نفسه والآخرين.[٨١]

ينتج من ذلك أن دفاع أرسطو عن حب الذات لا يجب أن يترتب عليه اتهامه بالأنانية؛ بمعنى أن يكون السبب الأساسى للفعل المصلحة الذاتية دون اعتبار لمصالح الآخرين وخيرهم. إنه يدافع عن حب الذات فقط عندما يكون مرتبطا بالنظرية الصائبة عن أين يقع خير المرء. ويسلم بأن حب الذات يستحق أن يدان عندما يكون ضارا بالمجتمع. ويستحق المدح فقط عندما يكون محب الذات مواطنا صالحا.[٨٢]

ويسهم فى دفع تهمة الأنانية عن أرسطو ما ذهب إليه فى السياسة من تقدم المدينة أى المجتمع السياسى على المواطن الفرد. واقتراحه أن تكون مهمة تعليم الأحداث فى المجتمع

---

80 N.E., pp. 274-275.
& Ross, D., Op. Cit., p.232.
81N.E., pp. 275-276.

ويمكن الرجوع أيضا إلى:

Gomperz, Th., Greek Thinkers, vol. IV, trans. by G. G. Berry, Oxford, 1929, p.293.
82 Kraut, R., Op. Cit., (the same internet site).

الصالح مسألة اهتمام عام ، أى تكون مسئولية الدولة وليس الأفراد. ففى الأمور التى تؤثر على الخير العام لابد أن يسترشد كل فرد بالقرارات الجمعية للمجتمع ككل. ويجب أن تخضع القوى الفردية لصنع القرار للقوى الكلية لضمان تحقيق الخير العام. ولاتتفق مثل هذه الرؤية مع الأنانية.[٨٣]

مكانة الصداقة فى الحياة الخيرة :

فى الفصل التاسع من الكتاب التاسع من "الأخلاق النيقوماخية" يثير أرسطو مسألة هل الصداقة ضرورية للإنسان السعيد؟ كثيرا ما يقال إن السعداء يتصفون بالاكتفاء الذاتى ؛ لأنهم يمتلكون بالفعل كل خيرات الحياة ، ومن ثم ليس بهم حاجة للأصدقاء. بينما الصديق كذات أخرى يوجد فقط ليزود المرء بما لا يمكنه أن يحصل عليه بنفسه. وكما يقول يوريبيدس: "عندما يبتسم الحظ فما الحاجة للأصدقاء؟[٨٤]

يرد أرسطو بأنه سيبدو الأمر غريبا أن ننسب إلى الإنسان السعيد كل الخيرات بدون أن نعين له الأصدقاء ، والذين يعتقد أنهم أعظم الخيرات الخارجية.[٨٥] يرى أرسطو أنه يستحيل تصور الحياة التامة والكاملة بدون الأصدقاء ، ومهما كان ما يمكن أن تتضمنه أفضل حياة ممكنة ، فلابد من قبول أن الصداقة ستكون جزءا منه. [٨٦]

علاوة على ذلك يسلم أرسطو بأننا نحتاج الأصدقاء فقط لتزويدنا بما لا يمكن أن نحصل عليه بأنفسنا ، والشئ الذى لا يمكن أن نحصل عليه بأنفسنا هو الفضيلة ، فلا يمكن الحصول على الفضيلة فى عزلة. إن الحياة الفاضلة هى نشاط فعل الخير ، ممارسة الخير ، تطوير العادات الخيرة. تحتاج الفضيلة فرصا لممارستها ، تتطلب آخرين يمكن منحهم الخير.[٨٧] يرى

---

83 Ibid.
84 N.E., p. 277.
85 Ibid., p. 277.
86 Wadell, P.J., Op. Cit., p. 64.
87 Ibid., p. 64.

أرسطو أنه إذا كان الصديق هو من يمنح الخير أكثر ممن يستقبله ، وفعل الخير للآخرين نشاط ينتمى بصفة خاصة للفضيلة والإنسان الفاضل ، وإذا كان من الأفضل فعل الخير لصديق أكثر من لغريب ، فسيكون للإنسان الخير حاجة للأصدقاء كموضوعات لفعله النشط للخير.[٨٨] إن الخير أو الكمال فى الإنسان يعى قيمته ويرغب فى أن يرى إلى جواره كمالا مثله ، كما يرغب فى أن يصل إلى غيره وأن يفعل الخير لهم. فهو بذلك يحتاج الأصدقاء ليس من أجل أن يمنحوه شيئا ، بل من أجل توصيل الخير لهم.[٨٩]

يؤكد أرسطو أيضا أن تصور الإنسان المتصف بالسعادة التامة كشخص وحيد أو منعزل أمر غريب. لن يختار أى شخص متعمدا أن يمتلك كل الأشياء الخيرة فى العالم ، إذا كان الشرط امتلاكها وحيدا. إن الإنسان حيوان اجتماعى ، والحاجة للصحبة فى دمه. لذلك لابد للإنسان السعيد أن يمتلك الصحبة ، لأنه يمتلك كل شئ خير بالطبيعة. ومن الأفضل الارتباط بالأصدقاء أكثر من الغرباء ، بالفضلاء أكثر من الأشخاص العاديين. والنتيجة إذن أن الإنسان السعيد يحتاج الأصدقاء.[٩٠]

أما عن حجج القائلين بوجهة النظر المقابلة: يرى أرسطو أن معظم الناس يعتبرون أصدقاءهم بمثابة ممتلكات أو أصول مادية ؛ ومن ثم لن يحتاج الإنسان السعيد تماما أصدقاء من ذلك النوع ، لأنه يمتلك بالفعل كل خير. ولن يشعر أيضا بالحاجة لأصدقاء لصفاتهم المقبولة أى السارة ؛ لأن حياة الإنسان السعيد سارة فى ذاتها وليست فى حاجة للذة خارجية. ولذلك فحيث إن الإنسان السعيد لا يشعر بحاجة للأصدقاء النافعين أو السارين ، يفترض أنه لا يحتاج أى صديق على الإطلاق. يعتقد أرسطو أن هذا الاستدلال غير صحيح ، ويضع فى المقابل الحجة التالية:[٩١]

---

88 N.E., p. 277.

89 أولف جيجن: مرجع سابق ، ص ٤٥١.

90 N.E., pp. 277-278.

وانظر أيضا:

Pakaluk, M., Op. Cit., p. 283.

91 N.E., p. 278.

إن السعادة نشاط ، والنشاط بوضوح شئ قيد الفعل ، وليس شيئا وجد بالفعل كشئ مادي. ويفترض أرسطو صحة القضايا التالية: (١) تتضمن السعادة الحياة والفعل (النشاط). (٢) إن نشاط الإنسان الخيّر خير ، وبكونه خير فهو سار فى حد ذاته. (٣) إن الوعى بأن شيئا يخص المرء أمر سار. (٤) لنا القدرة على دراسة الآخرين وأفعالهم أفضل من دراسة أنفسنا وأفعالنا. (٥) يحصل الأخيار على اللذة من أفعال أصدقائهم الأخيار ؛ من حيث إن هذه الأفعال تمتلك الخاصيتين الباعثتين على اللذة بالطبيعة: أنها خيرة ، وأنها تخصهم (أفعالهم) ، أو خيرة بقدر أفعالهم. إذا كانت هذه القضايا الخمس صحيحة كما يبدو ؛ ينتج أن الإنسان السعيد تماما ستكون لديه حاجة للأصدقاء الفضلاء. لأنه يختار أن يعمل عقله فى تأمل الأفعال الخيرة وتخصه ، وأفعال الإنسان الخير الذى يكون صديقه يمكن أن توصف بذلك.[٩٢]

تتضمن هذه الحجة أن الإنسان الخيّر والسعيد يرغب فى دراسة الأفعال الخيرة ، وأنه لا يمكن للإنسان – أو لا يمكنه بسهولة – أن يدرس أفعاله كما يدرس أفعال آخر. أما لماذا يريد الإنسان الخير أن يدرس الأفعال الخيرة؟ فيفسره Cooper بأن معرفة الذات يصعب الوصول إليها بوسائل أخرى ، ومعرفة الذات لازمة للسعادة. وتوضح هذه الحجة أيضا لماذا يجب أن يكون الشخص الآخر الذى تدرس أفعاله صديقا وليس مجرد شخص نعرفه معرفة عرضية.[٩٣]

إن السعادة تتطلب معرفة الذات وتأكيد الذات الواعى ، فمعرفة الذات جزء جوهرى من متطلبات السعادة. لكن كيف يمكن معرفة الذات؟ يميل الناس لملاحظة أخطاء الآخرين بينما يتغاضون عن أخطائهم ، ويميلون لأن ينسبوا لأنفسهم فضائل غير موجودة. ولا تقع هذه الأخطاء حين يلاحظ المرء شخصا آخر. كيف يمكن الوصول إلى نفس الموضوعية عن الذات؟ هنا يفترض أن تدخل الصداقة. فى صداقات الشخصية يحب الصديق صديقه لشخصيته وليس لمنفعة أو لذة. يمكن أن تقوم هذه الصداقة باعتبارها الجسر المطلوب الذى تتحول بفضله الموضوعية عن الآخرين إلى موضوعية عن الذات. لأنه عندما يعرف المرء أنه وصديقه متشابهان

---

92 N.E., p. 278.
93 Cooper, J.M., Op. Cit., p. 324.

فى الشخصية ، يمكن بدراسة شخصية صديقه أن يصل لمعرفة شخصيته. يدرك المرء طابع شخصيته وحياته برؤيتها منعكسة فى صديقه كما لو كانت منعكسة فى مرآة. إن معرفة أصدقاء المرء تجعل معرفة الذات ممكنة ؛ لأن المشابهة التى تقوم على ألفة ممتدة وعميقة يمكن الاعتماد عليها بعكس الأمر مع معرفة بشخص ليس صديقا.[٩٤] يقول أرسطو إن الإنسان الخير يشعر تجاه أصدقائه كما يشعر تجاه نفسه حيث إن صديقه "ذات ثانية" بالنسبة له.[٩٥]

ليس للإنسان القدرة على معرفة ذاته بتأمل كماله الإنسانى المحدود ، بعكس العقل الإلهى الذى يتأمل ذاته ويعرف نفسه بنفسه. لذلك ليس فى قدرة الإنسان إلا تأمل الكمال منعكسا فى آخرين ؛ فكما يتأمل الإله ذاته ، يتأمل الإنسان الكامل (الخير) الصديق الكامل. أيضا فإن تأمل الإله لذاته نشاط دائم بلا انقطاع ، فى حين أن التأمل فى حالة الإنسان قد يصاب بالكلل أو الزلل. ويكون الخطر أعظم فى حالة أن يكون الإنسان وحيدا ، منه فى حالة أن يكون محاطا بأصدقاء لهم ما له من قدر. وهكذا يحتاج الإنسان الكامل الأصدقاء لاختبار كماله أو تأكيده. إن مبدأ "اعرف نفسك بنفسك" الذى يحققه الإله بالتأمل الخالص ، يحققه الإنسان بتأمل رفاقه من البشر.[٩٦]

يتابع أرسطو دفاعه عن الصداقة بأن الإنسان السعيد نفترض جميعا أنه لابد أن يستمتع بالحياة. والإنسان الوحيد يمضى وقتا صعبا فى الحياة ؛ حيث إن احتفاظه بنشاط متصل بمفرده ليس سهلا ، بينما فى صحبة الآخرين وبالعلاقة بالآخرين لا يكون الأمر صعبا هكذا. وبالتالى فإن نشاط الإنسان الخيّر - والذى هو مصدر لذة فى ذاته - سيكون أكثر اتصالا إذا كان لديه أصدقاء. وسيساعده هذا أن يستمتع بلا انقطاع بذلك الشعور السار الذى يجب أن

---

94 Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 321-323.
& Wadell, P.J., Op. Cit., pp. 58-59.
95 N.E., p. 280.

96 أولف جيجن: مرجع سابق ، ص ٤٥١-٤٥٢.

يكون جزءا من وجود الإنسان السعيد. علاوة على أن الارتباط بالأشخاص الفضلاء يمكن أن يشكل بطريقة ما مرانا على الفضيلة.[٩٧]

يعتقد أرسطو هنا أن الحياة فى عزلة تؤدى إلى أن يكون الإنسان أقل فاعلية بصورة متصلة بصدد مساعيه المفضلة ، بما لا يتوافق مع أن يحيا حياة سعيدة. ويرى فى المقابل أن الإنسان يمكن أن يكون أكثر فاعلية بصورة متصلة بصدد هذه المساعى إذا انخرط فيها مع الآخرين ، بحيث تكون أنشطة الحياة الرئيسية للإنسان هى ذاتها أنشطة مشتركة مع الآخرين. ويعتقد Cooper أن أرسطو يقصد بالأنشطة المشتركة الأنشطة التى يتم إنجازها بواسطة شخصين أو أكثر معا. ويكون هناك التزام مشترك بهدف ما ومعرفة متبادلة بهذا الالتزام ، وفهم متبادل للأدوار التى يلعبها مختلف الأشخاص لتحقيق هذا الهدف.[٩٨]

ولا يقدم أرسطو أسبابا لهذا الاختلاف فى اتصال النشاط بين حياة تتكون من أنشطة مشتركة ، وحياة تتكون من أنشطة خاصة ، لكن ربما كان فى ذهنه عدد من الأسباب:

أولا: يميل الإنسان إلى أن يصبح بليدا وغير فعال بدون الحث والدعم اللذين يقدمهما الآخرون (خصوصا أولئك الذين يحبهم المرء ويقدرهم) بمشاركتهم أهدافه واهتماماته. إن حقيقة أن الآخرين خصوصا إذا كانوا أناسا يحبهم المرء أو يعجب بهم يشتركون معه فى الالتزام بالهدف الذى يعطى النشاط معناه ، من المحتمل أن يقوى إدراك المرء ذاته لجدارة أو قيمة النشاط ، وبذلك يتمكن من الانخراط فيه باهتمام ولذة. فى ضوء ذلك يمكن فهم لماذا يدّعى أرسطو مكانا خاصا وجوهريا فى أى حياة إنسانية سعيدة للأنشطة المشتركة التى تجعلها الصداقة فقط ممكنة. فمن خلال هذه الأنشطة سوف يجد الكائن البشرى حياته ممتعة وسارة بصورة متصلة.[٩٩]

---

97 N.E., pp. 278-279.
98 Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 325-326.

وانظر أيضا:

Pakaluk, M., Op. Cit., p. 283.
99 Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 325-327.

ثانيا: إن الشعور بالمشاركة فى النشاط المشترك يجعل انخراط المرء فيما يفعله أوسع كثيرا منه فى النشاط الخاص. فى النشاط المشترك لا تقتصر متعة المرء ومن ثم اهتمامه بما يفعله ، على ما يساهم به بصورة مباشرة. وذلك لأنه ينخرط فى النشاط بصورة غير مباشرة أيضا – باعتباره عضو فى مجموعة - عندما يؤدى أى من الآخرين نصيبهم من النشاط. أى أن المشارك فى نشاط مجموعة يكون فعالا حتى عندما لا يقوم بنفسه بأى إسهام مباشر. وعلى هذا فإلى المدى الذى يرى فيه المرء نشاطه باعتباره إسهام فى كل أكبر يلتحق به ويهتم به أيضا من خلال إسهام الآخرين ، فإن مصادر اهتمامه المتصل بما يفعله بصورة مباشرة تكون أكثر اتساعا، وبالتالى يدعم اهتمامه بأفعاله الشخصية ويحصل على اللذة منها بصورة متصلة أكثر.[١٠٠]

لم يصرح أرسطو بالأسباب السابقة لتبرير قوله إنه من الأسهل أن تكون فعالا بصورة متصلة مع الآخرين وتجاه الآخرين أكثر منك منعزلا. لكن يصعب تخيل قصده لو لم يكن فى ذهنه بعض منها على الأقل. كما أن هذه الأسباب تؤكد صحة رؤيته أيا ما كانت مبرراته. لايمكن إذن للحياة الإنسانية أن تكون مرضية أو ناجحة إذا لم تضع استعدادا واضحا لقدر من الأنشطة المشتركة مع الآخرين. وفى ضوء هذه الرؤية من المعقول افتراض أن الطبيعة الإنسانية مفطورة على أنه لا يمكن لكائن بشرى أن يحصل بنفسه على مصادر اهتمامه ولذته. إنه باندماج أنشطة واهتمامات الإنسان مع أنشطة واهتمامات الآخرين ، يمكن التغلب على الضعف الغريزى للاهتمامات البشرية.[١٠١]

لا يكتفى أرسطو بالتأكيد على أفضلية الأنشطة المشتركة ، وإنما يعتقد أن الأنشطة المشتركة مع الأصدقاء ضرورية للحياة الإنسانية السعيدة. إن ما تحققه هذه الأنشطة تمس الحاجة إليه فيما يتصل بالأنشطة المحورية للسعادة. تتكون الحياة الإنسانية السعيدة من الأنشطة الممتازة أخلاقيا وعقليا. لذلك يحتاج الإنسان السعيد لمشاركة هذه الأنشطة لتأمين وتعميق اهتماماته فى الحياة. وإذا كان من شروط النشاط المشترك – كما تقدم – التزام أطرافه بهدف

---

100 Cooper, J.M., Op. Cit., pp. 327-328.
101 Ibid., pp. 328-329.

ومعرفة متبادلة بهذا الالتزام المشترك. يترتب على شرط المعرفة المتبادلة هذا نتائج جوهرية عندما تشمل الأنشطة المشتركة أنشطة فاضلة أخلاقيا. لا تكفى المعرفة السطحية للحكم على التزام الشخص بالفضائل الأخلاقية ، وإنما لابد من معرفته ومعرفة شخصيته عن قرب. وهذا النوع من المعرفة المتبادلة لا يكاد يكون متاحا خارج صداقة الشخصية أو الفضيلة.[١٠٢] إن الارتباط بالأشخاص الفضلاء يمكن أن يشكل بطريقة ما مرانا على الفضيلة.[١٠٣] وهذا سبب آخر تُطلب من أجله صحبة الأصدقاء. ليست الصداقة مجرد فضيلة مستقلة ، لكنها سياق تكتسب فيه الفضائل وتمارس وتُنمّى. بالحياة فى صحبة الأخيار يمكن للإنسان أن يحصل على نوع من التدريب فى الفضيلة. بقضاء الوقت مع الأخيار ، بمشاركتهم والابتهاج معهم فى الحب المتبادل للخير ، يزداد انطباع الخير فى نفس الإنسان. ليست الصداقة مجرد علاقة إذن لكنها مسعى أو نشاط أخلاقى.[١٠٤]

إن السعادة هى الحياة طبقا للفضيلة ، والحياة طبقا للفضيلة هى الحياة فى صحبة الأصدقاء ، أو الحياة المكونة من صداقات الفضيلة. نحتاج الأصدقاء ليس فقط ليكونوا المستقبلين لأفعالنا الفاضلة - فأى شخص يمكن أن يقوم بهذا الدور – وإنما نحتاج مجتمعا من أولئك الذين تعنى حياتهم لهم ما تعنيه لنا. إن الحياة نشاط جمعى ، وكذلك الصداقة نشاط جمعى للحياة الفاضلة. ليست السعادة فى حياة كل فرد منعزلا ، لكن فى حياة الكل معا ، فى التنمية الجمعية المستمرة للخير. إن الصداقة تجعل حياة الفضيلة أى السعادة ممكنة. إن الطلب المتبادل الاشتراكى للخير هو مايجعلنا خيرين ، أى أن أصدقاءنا يجعلوننا خيرين ؛ لأن كلا منا فى حبه للخير يصبح مصدرا لخير الآخر. ومن ثم وصف أرسطو للأصدقاء بأنهم أولئك الذين يعملون من أجل خير الآخر. من خلال هذه الرغبة الجمعية للحياة لأجل خير الآخر يصبح كل منا الخيّر الذى يطلبه.[١٠٥]

---

102 Ibid., pp. 329-330.
103 N.E., p. 279.
104 Wadell, P.J., Op. Cit., p. 62.
105 Ibid., pp. 64-66.

نتائـــــج البـــحث:

يمكن إجمال النتائج التى انتهى إليها البحث فى النقاط التالية:

١- أثار أفلاطون فى محاورة "ليسيس" عددا من المشكلات والمعضلات الهامة حول الصداقة ، واتضح من خلال الدراسة التحليلية لمعالجة أرسطو للصداقة فى "الأخلاق النيقوماخية" ، أن أرسطو اهتم اهتماما كبيرا بما أثير فى "ليسيس" من مشكلات ، وحاول أن يكون إيجابيا يسعى لوضع الحلول لمشكلات الصداقة ، ولا يثيرها فقط بالطريقة السقراطية كما فعل أفلاطون. فضلا عن ذلك فقد اتسمت معالجة أرسطو للصداقة بالاتساع والشمول ، وبتوضيح قيمة ومكانة الصداقة فى الحياة الخيرة للفرد والمجتمع ككل ، باعتبار أن للصداقة دورها فى صنع المواطن الصالح الذى يسعى لتحقيق الخير العام.

٢- يمكن أن يعد تمييز أرسطو بين الصداقة والإرادة الطيبة ردا على إحدى صعوبات "ليسيس" ، وهى الصعوبة اللفظية المرتبطة باستخدامات كلمة jílοV اليونانية. فقد أكد أرسطو أن العلاقة لا توصف بأنها صداقة إلا بوجود إرادة طيبة متبادلة بين الطرفين ، بمعنى أن يريد كل طرف الخير للطرف الآخر لذاته.

٣- بينما ربط أفلاطون فى "ليسيس" بين الصداقة والمنفعة ، اعتبر أرسطو الصداقة القائمة على المنفعة نوعا أدنى للصداقة ، وكذلك بالنسبة لصداقة اللذة ، بينما صداقة الخير هى الصداقة الأعلى التى يجمع الصديقين فيها حب الخير والفضيلة. بالإضافة إلى ذلك لم يعتبر أرسطو أصقاء اللذة والمنفعة أنانيين يتمركزون حول رغباتهم الذاتية ومنافعهم، وإنما يختلط فى هذه الأنواع الدنيا للصداقة البحث عن الذات ، والإرادة الطيبة التى تهتم بخير الصديق لذاته.

٤- أثار أفلاطون فى "ليسيس" معضلة أن الصداقة تقوم فقط بين الأخيار، بينما الخيّر مكتف بذاته وليس بحاجة للأصدقاء. وقد تناول أرسطو هذه المعضلة من جانبيها وبين

أن أيا من الفكرتين غير صحيح: فأولا: وضح أن هناك أنواعا مختلفة للصداقة وليس فقط صداقة الخير، وحتى صداقة الخير اتضح أنها لا يمكن أن تقتصر على الأخيار أو الفضلاء كلية ، وإنما يمكن أن تنشأ بين أناس عاديين يختلط فى شخصياتهم الخير بالشر. وثانيا: فنّد حجج القائلين بالاكتفاء الذاتى للأخيار ، وقدم فى مقابل ذلك حججا عدة توضح حاجة الشخص الخيّر للصداقة ، معتبرا أن الاكتفاء الذاتى له لا يستبعد حاجته للأصدقاء ، ومضيفا حججه التى دلل فيها على أهمية وضرورة الصداقة للحياة الخيرة والسعيدة.

٥- يمكن اعتبار فكرة أرسطو عن الصديق "كذات ثانية" انعكاسا لفكرة أفلاطون فى "ليسيس" حول الرغبة كموضوع للصداقة ، وكيف أن الرغبة والصداقة تكون للقريب من الطبيعة أو ما يتفق مع الذات ؛ فبحسب هذه الفكرة يكون الصديق فى الصداقة الحقيقية جزءا من صديقه أو هو نفس ذاته.

٦- أثار أفلاطون فى "ليسيس" معضلة هامة أخرى وهى: هل مشاعر الصداقة تحركها الرغبات الذاتية؟ أم أن موضوع الصداقة الحقيقى يجب أن يكون محبوبا ومطلوبا لذاته؟ وقد حاول أرسطو حل هذه المعضلة فنجده يرد أصول الصداقة بالآخرين إلى الصداقة بالذات ، أى إلى مشاعر المودة والتعاطف التى يشعر بها الإنسان الخيّر نحو ذاته. وحتى لا يؤدى ذلك إلى اتهامه بالأنانية جاء بفكرة أن الصديق يعد ذاتا ثانية لصديقه ، بمعنى أن الإنسان يجعل خير صديقه موضع اهتمام مباشر كخيره ذاته ، ويهتم برغباته كما لو كانت رغبات ذاتية ، فالصديق حسب تعريف أرسطو له هو من يتمنى خير صديقه من أجل صديقه ذاته. ومن ثم يمكن الجمع فى الصداقة بين الغيرية والذاتية دون الوقوع تحت طائلة الاتهام بالأنانية.

٧- إن طريقة تناول أرسطو لمسألة "حب الذات" تسهم فى دفع تهمة الأنانية عنه ، وفى حل التناقض الظاهر فى معضلة "ليسيس" السابقة. فالإنسان الخيّر المطيع للعقل والمحب له فوق أى شئ آخر يسمو بشخصيته ، ويسهم فى نفس الوقت بحبه لذاته بهذا المعنى فى تحقيق الخير للمجتمع ككل. على النقيض من المحب لذاته بالمعنى السئ

والذى يخضع لانفعالاته الدنيا وشهواته ، و يفضل مصلحته الخاصة على مصلحة الآخرين ، ولا يهتم بما يمكن أن يصيب المجتمع من شرور نتيجة أنانيته.

المصـــــــــــــــــادر

1-Aristotle, **The Ethics of Aristotle, The Nicomachean Ethics Translated, trans. By J.A.K. Thomson, Penguin Books Ltd, 1958.**

2-Plato, **"Lysis", in The Dialogues of Plato, vol. I, 3rd ed., trans. by B. Jowett, Oxford University Press, London, 1931.**

المـــــــــــــــــــــــــــــــــراجـــــــــــــع:

٣- أولف جيجن: المشكلات الكبرى فى الفلسفة اليونانية ، ترجمة عزت قرنى ، القاهرة ، ١٩٧٥.

٤-Annas, J., **"Plato and Aristotle on Friendship and Altruism", Mind 86, 1977.**

٥-Cooper, J.M., **"Aristotle on Friendship", in Essays on Aristotle's Ethics, ed. by Rorty, A.O., University of California Press, Berkeley, 1980.**

٦-Gomperz,Th., **Greek Thinkers, vol. IV trans. by G. G. Berry, Oxford, 1929.**

7-Jeager, W., **Aristotle, Fundamental of the history of his development, trans. by R. Robinson, Oxford University Press, 1948.**

8-Kraut, R., **"Aristotle's Ethics", The Stanford Encyclopaedia of philosophy, http://plato.stanford.edu/archives/sum2001/entries/aristotle-ethics/**

9-Pakaluk, M., **Aristotle's Nicomachean Ethics, an introduction, Cambridge University Press, 2005.**

10-Pangle,L. S., **Aristotle and the philosophy of friendship, Cambridge University Press, 2002, reviewed by Clifford Angell Bates, Bryn Mawr Classical Review, http://bmcr.brynmawr.edu/2003/2003-08-11.html.**

11-Ross, D., **Aristotle, Methuen & Co. LTD, London, 1966.**

12-Seung, T.K., **Plato Rediscovered, Human value and social order, Rowman & Littlefield Publishers, INC., 1996.**

13-Taylor, A.E., **Plato, the man and his Work, Dover Publications, INC., New York, 2001.**

14-Vlastos, G. , **Platonic Studies, Princeton University Press, 1993.**

15-Wadell, P.J., **Friendship and the Moral Life, University of Notre Dame Press, Notre Dame, Indiana, 1989.**

الموسوعات والقواميس:

16-Encyclopaedia of religion and Ethics, ed. by James Hastings vol. VI, T. & T. Clark, Edinburgh, 1912.

17-Liddell & Scott, An intermediate Greek-English Lexicon, founded upon the 7th edition, The Clarendon Press, Oxford, 1996.